

المكتبة الثانية للأسرة

مُخْتَصَر
الْوَالِدِ الصَّيِّبِ
وَمَرَاغِعُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ

ابن قسيم الجوزية
الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
٦٩١-٧٥١ هـ

اختصره
د. محمد بن عبد الله بن محمد بن
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك
كلية التربية - جامعة الملك سعود



مركز البحوث والدراسات الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ



مَدَارُ الْوَطَنِ لِلنَّشْرِ

الدائري الشرقي - مخرج ١٥ - ٢ كم غرب أسواق المجد

الرياض : الملز/ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) - فاكس : ٤٧٢٣٩٤١
السويدي ت ٤٢٦٧١٧٧ فاكس ٤٢٦٧٣٧٧ فرع جدة ت ٠٢٦٨٧٠٦٧٩ فاكس ٠٢٦٨١٧٣٨٦
مندوب الرياض : ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ - مندوب الغربية : ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
مندوب الشرقية والدمام : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨ مندوب الجنوبية : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧
مندوب الشمالية والقصيم : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
مندوب التوزيع الخيري للمنطقتين الجنوبية والشرقية : ٠٥٠٨٣٩٩٨٥٧
مندوب التوزيع الخيري لباقي مناطق المملكة : ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
طلبات الجهات الحكومية : ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

الموقع على الإنترنت : www.madar-alwatan.com

البريد الإلكتروني : pop@dar-alwatan.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المختصر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد..
 فما من شك أن الأسرة هي نواة كل مجتمع وقلبه النابض، وأساس نهضته وازدهاره
 أن أحسن رعايتها، أو تخلفه وانكماشه إن أسيء رعايتها.
 ومن هنا توجهت كافة الجهود الرسمية وغير الرسمية لعلاج مشكلات الأسرة،
 وتذليل العقبات والصعاب التي تواجهها.
 وإسهاماً منا في إعداد أسرة مؤمنة متماسكة قادرة على مواجهة التحديات، كان هذا
 الإصدار «المكتبة الثانية للأسرة».

وقد دفعنا إلى المسارعة في إخراج هذا الإصدار لتلقي القراء للمكتبة الأولى للأسرة
 بالرضى والقبول وذلك من خلال الرسائل الكثيرة التي وصلتنا، وازدياد الطلب
 عليها، ورغبة الكثيرين من القراء والمتبرعين في الاستمرار على هذا النهج.
 ويضم هذا الإصدار من الكتب ما يلي:

- ١- مختصر «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير.
- ٢- مختصر «الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب» لابن القيم.
- ٣- مختصر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب.
- ٤- مختصر «صيد الخاطر» لابن الجوزي.
- ٥- مختصر «لطائف المعارف» لابن رجب.
- ٦- مختصر «كتاب الكبائر» للذهبي.

إن الهدف من هذا الإصدار والذي قبله هو تقوية الوازع الديني في نفوس أفراد
 الأسرة، وصولاً إلى تعظيم الله تعالى ومحبته والسعي في مرضاته واجتناب معاصيه.
 ولا شك أن هذا الهدف يسهم في علاج كثير من مشكلاتنا الأسرية والاجتماعية
 من كافة الجوانب: الاعتقادية والتعبدية، أو الأمنية، أو الاجتماعية والأخلاقية،
 أو الاقتصادية.

فإذا قوى الإيمان وصحت عقائد الناس، اتجهوا إلى أفراد الله تعالى بالعبادة، وابتعدوا عن الشرك كبيره وصغيره، وعن البدع والضلالات التي لا أصل لها. وعلى الجانب الأمني، نجد أن أفراد الأسرة الذين امتلأت قلوبهم بمحبة الله، هم أكثر الناس حفاظًا على أمن البلاد والعباد، وأبعد الناس عن الإرهاب والإفساد في الأرض وترويع الآمنين، فلا يتساهلون بدماء المسلمين وأهل الذمة من المعاهدين والمستأمنين، ولا يتجاوزون حدود الله عزَّ وجلَّ بارتكاب الجرائم التي تخلُّ بالشرف والمروءة والأمانة.

وعلى الجانب الاجتماعي والأخلاقي، نجد أن تقوية الوازع الديني يسهم في إصلاح أوضاع الأسرة الاجتماعية، فيسارع أفرادها إلى تأدية ما عليهم من حقوق، فيختفي بذلك عقود الوالدين، وقطيعه الأرحام، ويسود حسن العشرة بين الزوجين مكان الخلافات الدائمة، ويتعامل الناس فيما بينهم بمكارم الأخلاق، ويسارعوا إلى المشاركة في الأنشطة الاجتماعية التي تحفظ المجتمعات، مثل رعاية الأيتام والأرامل والمعاقين والمسنين وأصحاب الاحتياجات الخاصة وغيرهم.

وعلى الجانب الاقتصادي، نجد أنه إذا قوي الإيمان وثبت تعظيم الله في النفوس، أثر ذلك في صدق التعامل بين الناس، وإتقان العمل، والانهاء عن أكل الربا، وترك الاحتكار، والكف عن رفع أسعار السلع دون سبب، ورأينا التوسط في الإنفاق والاستهلاك والبعد عن الإسراف والتبذير، والمصارعة في حفظ حقوق المسلمين وغير المسلمين.

وفي الختام أقدم الشكر الجزيل للقراء الكرام والإخوة المتبرعين ولكل من ساهم ودعم وشارك في إنجاح هذا العمل، وأسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يكتب له القبول أنه خير مسؤول وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك

كلية التربية — جامعة الملك سعود

dralmazyad@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم الله عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. فإن هذه الأمور الثلاثة هي عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبداً، فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاثة.

الأول: نعم من الله تعالى ترادف عليه، فقيدها: الشكر، وهو مبنئ على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

الثاني: محن من الله تعالى يبتلي بها، ففرضه فيها الصبر والتسلي. والصبر: حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية؛ كاللطم، وشق الثياب، ونف الشعر ونحوه.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوباً. فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليتمجن صبره وعبوديته، فإن الله تعالى على العبد عبودية في الضراء، كما له عليه عبودية في السراء، وله عليه عبودية فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى.

فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسيه عبودية، وهذا الوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين.

فمن كان عبدًا لله في الحالتين، قائمًا بحقه في المكروه والمحجوب، فذلك الذي يتناولُه قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصة، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].



[مدار العبودية]

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حبٌ كاملٌ، وذُلٌّ تامٌّ. ومنشأ هذين الأصلين عن ذنبك الأصلين وهما مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذلَّ التامَّ، وإذا كان العبد قد بني سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغفلة، وما أسرع ما يُنعِسه الله عزَّ وجلَّ ويَجْبِره ويتداركه برحمته.



[وسائل استقامة القلب]

وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه، فاستقامة القلب بشيئين: أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدَّم عنده على جميع المحابِّ، فإذا تعارض حبُّ الله تعالى وحبُّ غيره، سبق حبُّ الله تعالى حبَّ ما سواه، فرتبَّ على ذلك مقتضاه، وما أسهل هذا بالدعوى، وأما أضعبه بالفعل، فعند الامتحان يُكرِّم المرءُ أو يُهانُ.

الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشيء عن تعظيم الأمر النَّاهي، فإنَّ الله تعالى دَمَّ من لا يعظَّمه ولا يعظَّم أمره ونهيَه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون الله تعالى عظمةً.

[علامات تعظيم الأوامر]

فعلامة التعظيم للأوامر: رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكما لها، والحرص على تحسينها وفعلها في أوقاتها، والمسارة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند قوت حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة، ويعلم أنه لو تُقبلت منه صلاته منفرداً، فإنه قد فاتته سبعة وعشرون ضعفاً، ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء يفوته في صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة سبعة وعشرون ديناراً، لأكل يديه ندماً وأسفاً، فكيف وكلُّ ضعفٍ مما تُضاعف به صلاة الجماعة خيرٌ من ألف، وألف ألف، وما شاء الله تعالى، فإذا قوت العبد عليه هذا الربح خسر قطعاً.

وكثير من العلماء يقول: لا صلاة له وهو بارد القلب، فارغ من هذه المصيبة، غير مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه.

وكذلك إذا فاتته أول الوقت الذي هو رضوان الله تعالى، أو فاتته الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه، ولكانت قرعة.

وكذلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلته، وكلما كثر الجمع كان أحب إلى الله عز وجل، وكلما بعدت الخطأ كانت خطوة تحط خطيئة، وأخرى ترفع درجة.

وكذلك فوت الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور، كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً، أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها، من ملك أو أمير، أو غيره، فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد — أو الأمة — الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه، وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يشبهه عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في «السُنَنِ» و«مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَد» وغيره عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَصِلِي الصَّلَاةَ

وما كُتِبَ له إِلَّا نِصْفُهَا، إِلَّا ثُلُثُهَا، إِلَّا رُبُعُهَا، إِلَّا خُمُسُهَا حَتَّى بَلَغَ عَشْرُهَا»^(١).

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان، والإخلاص، والمحبة وتوابعها، وهذا العمل الكامل هو الذي يُكْفَرُ الذنوب تكفيراً كاملاً، والناقص بحسبه، وبهايتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة، وهما: تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه.



[علامات تعظيم المناهي]

وأما علامات تعظيم المناهي: فالحرص على التباعذ من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروهات، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إِلَّا مَنْ سَقَطَ مِنْ قَلْبِهِ تَعْظِيمُ اللَّهِ تَعَالَى وَحُرْمَاتُهُ.

ومن علامات تعظيم الله: أن يغضب الله عز وجل إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزناً وكسرة إذا عصي الله تعالى في أرضه، ولم يطع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافياً غير مستقيم على المنهج الوسط.

مثال ذلك: أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخص الجافي أن يبرد إلى فوات الوقت، أو مقاربة خروجه، فيكون مترخصاً جافياً.

ومن هذا: نهيه ﷺ أن يصلي الرجل بحضرة الطعام، أو عند مدافعة البول

والغائط^(١)، لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة، فلا يحصل المراد منها، فمن فقه الرجل في عبادته أن يُقبل على شغلِهِ فيعملهُ، ثم يُفرغ قلبه للصلاة، فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى، ونصب وجهه له، وأقبل بكلية عليه، فركعتان من هذه الصلاة يُغفر للمصلي بهما ما تقدم من ذنبه. والمقصود أنه لا يترخص ترخصاً جافياً.

ومن هذا: أن الشَّبَع في الأكل رخصة غير محرمة، فلا ينبغي أن يحفوَ العبد فيها حتى يصل به الشَّبَع إلى حدِّ التَّخَمَةِ والامْتِلَاءِ، فينطلب ما يصرف به الطعام، فيكون همُّه بطنه قبل الأكل وبعده، بل ينبغي للعبد أن يجوع وشَبَع، ويدع الطعام وهو يشتهيهِ، وميزان ذلك قول النبي ﷺ: «ثَلُثْ لِمَطْعَمِهِ، وَثَلُثْ لِمَشْرَبِهِ، وَثَلُثْ لِنَفْسِهِ»^(٢). فلا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده.

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي، فهو كمن يتوسوس في الوضوء مغالياً فيه حتى يفوت الوقت، أو يردّد تكبيرة الإحرام إلى أن تقوته مع الإمام قراءة الفاتحة، أو يكادُ تقوته الركعة، أو يتشدّد في الورع الغالي حتى لا يأكل شيئاً من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه.

ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم، حتى امتنع أن يأكل شيئاً من بلاد المسلمين، وكان يتقوّت بها يحمل إليه من بلاد النصارى، ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك، فأوقعه الجهل الحفِرُط، والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين، وحسن الظن بالنصارى، نعوذ بالله من الخذلان.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي: أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضا لتشديد غال، فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصول إلى الله عز وجل بسالكه.

وما أمر الله عز وجل بامر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمّا تقصير وتفريط، وإمّا إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشأته،

(١) مسلم (٥٦٠).

(٢) الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

فإن وجد فيه تقصيرًا أو فتورًا أو توانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخُطَّة، فثَبَّطه وأقعدَه، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبدُ المأمورَ جملةً.

وإن وجدَ عنده حَدَرًا وَجَدًا، وتشميرًا ونهضةً، وأيس أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسوَّل له أن هذا لا يكفيك، وهَمَّتْكَ فوقَ هذا، وينبغي لك أن تزيدَ على العاملين، وأن لا ترقُدَ إذا رقدوا، ولا تُفطِرَ إذا أفطروا، وأن لا تفتُرَ إذا فترُوا، وإذا غَسَلَ أحدُهم يديه ووجهه ثلاثَ مراتٍ، فاغسِل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة، فاغتَسِل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاورة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه. ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه؛ وهذا بأن يجاوزَه ويتعداه. وقد فُتِنَ بهذا أكثرُ الخلق، ولا يُنجي من ذلك إلا عِلْمٌ راسخٌ، وإيمانٌ وقوةٌ على محاربته ولزومُ الوسط، والله المستعان.



[العبد بين البلاء والإعانة]

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يَحْمِلَ الأمرُ على عِلَّةٍ تُضَعِّفُ الانقيادَ والتسليمَ لأمرِ الله عزَّ وجلَّ؛ بل يُسَلِّمَ لأمرِ الله تعالى وحكمه، مِمثلاً ما أُمِرَ به، سواءَ ظهرت له حكمةُ الشرع في أمره ونهيه أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمةُ الشرع في أمره ونهيه، حمَلَه ذلك على مزيد الانقيادِ بالبذلِ والتسليمِ لأمرِ الله، ولا يَحْمِلُه ذلك على الانسلاخ منه وتركه جملةً، كما حمل ذلك كثيرًا من زنادقة الفقراء والمتسبين إلى التصوف، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ شَرَعَ الصلوات الخمسَ إقامةً لذكره، واستعمالًا للقلب والجوارح واللسان في العبودية، وإعطاء كلِّ منها قسطه من العبودية التي هي المقصودُ بخلق العبد، فَوَضِعَت الصلاةُ على أكملِ مراتبِ العبودية.

فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق هذا آدميًّا، واختاره من بين سائر البرية، وجعل قلبه محلَّ كنوزه من الإيمان والتوحيد والإخلاص، والمحبة والحياء، والتعظيم والمراقبة،

وجعل ثوابه إذا قَدِمَ عليه أكمل الثواب وأفضله، وهو النظر إلى وجهه، والفوز برضوانه، ومجاورته في جنته، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتُر عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه؛ لأنه يدخل عليها بما تحب، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد: ثلاثة مسلطون أمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وطهرهم، والجوارح آلة متقادة، فلا يمكنها إلا الانبعاث، فهذا شأن هذه الثلاثة، وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يمموا. هذا مقتضى حال العبد، فاقتضت رحمة ربِّه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر، وأمدّه بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمر، أمره المَلَكُ بأمر ربِّه، ويبيِّن له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يلزم به مرة، وهذا مرة، والمنصور من نصره الله عزَّ وجلَّ، والمحفوظ من حفظه الله تعالى.

وجعل له مُقابل نفسه الأَمارة نفساً مطمئنة، إذا أمرته النفس الأَمارة بالسوء، نهته عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الأَمارة عن الخير، أمرته به النفس المطمئنة، فهو يُطيع هذه مرة، وهذه مرة، وهو للغالب عليه منها، وربما انقهرت إحداها بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً، وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأَمارة نوراً وبصيرة، وعقلاً يرذِّه عن الذهاب مع الهوى، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذر الحذر، فإن المهلك والمتالف بين يديك، وأنت صيد الحرامية، وقطاع الطريق إن سرت خلف هذا الدليل.

والمقصود: أن الله عزَّ وجلَّ قد أمدَّ العبد في هذه المدة اليسيرة بالجند، والعُدَد، والإمداد، وبيَّن له بماذا يُجرُّ نفسه من عدوه، وبماذا يُفكُّ نفسه إذا أسره.

وقد رَوَى الإمام أحمد رضي الله عنه، والترمذي، من حديث الحارث الأشعري، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الله سُبْحَانَهُ وتعالى أَمَرَ يُحْيِي بنَ زكريا ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ يَعْمَلَ بها، وَيَأْمُرَ بني إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بها، وَأَنَّهُ كَاذٌ أَنْ يُطِيعَ بها»، فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الله تعالى أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لَتَعْمَلَ بها، وَتَأْمُرَ بني إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بها،

فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ أَمُرْهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى أَنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخَسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ يَحْيَى النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأَمْتَلَا الْمَسْجِدَ، وَقَعَدُوا عَلَى الشَّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَهُنَّ، وَأَمُرَّكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ. أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيْتَكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَأَمُرَّكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ، مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمُرَّكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ، فَأَوْثَقُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَقْتَدِي مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَقَدَى نَفْسُهُ مِنْهُمْ، وَأَمُرَّكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُخْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا أَمُرُّكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِنْدَ شِيرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ»^(١). قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم الشأن - الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتَعَقُّله - ما ينجي من الشيطان، وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه.

فذكر مثل الموحِّد والمُشْرِك: فالموحِّد: كَمَنْ عَمِلَ لِسَيِّدِهِ فِي دَارِهِ، وَأَدَّى لِسَيِّدِهِ مَا اسْتَعْمَلَهُ فِيهِ، وَالْمُشْرِكُ كَمَنْ اسْتَعْمَلَهُ سَيِّدُهُ فِي دَارِهِ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي خَرَجَهُ وَعَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَهَكَذَا الْمُشْرِكُ يَعْمَلُ لَغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي دَارِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَقَرَّبُ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ

تعالى بِنِعَمِ اللَّهِ تعالى.

قال الله سُبحَانَهُ وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦].



[الشرك أعظم دواوين الظلم]

والظُّلْمُ عند الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ دواوينُ ثلاثة: ديوانٌ لَا يَغْفِرُ الله مِنْهُ شَيْئًا، وهو الشُّرْكُ بِهِ، فَإِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.

وديوانٌ لَا يَنْتَرِكُ الله تعالى مِنْهُ شَيْئًا، وهو ظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، فَإِنَّ الله تعالى يَسْتَوْفِيهِ كُلَّهُ.

وديوانٌ لَا يَعْبَأُ الله بِهِ شَيْئًا، وهو ظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فإنَّ هَذَا الدِّيوانَ أَخَفُّ الدَّوَائِينِ وَأَسْرَعُهَا نَحْوًا، فَإِنَّهُ يُمَحِّى بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ، وَالْمَصَائِبِ الْمَكْفُورَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، بِخِلَافِ دِيوانِ الشُّرْكِ، فَإِنَّهُ لَا يُمَحِّى إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، وَدِيوانِ الْمَظَالِمِ لَا يُمَحِّى إِلَّا بِالْخُرُوجِ مِنْهَا إِلَى أَرْبَابِهَا وَاسْتِحْلَالِهِمْ مِنْهَا.

وَلَمَّا كَانَ الشُّرْكُ أَعْظَمَ الدَّوَائِينِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى أَهْلِهِ، فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَفْسٌ مُشْرِكَةٌ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ مِفْتَاحُ بَابِهَا، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِفْتَاحٌ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ بَابُهَا، وَكَذَلِكَ إِنْ أَتَى بِمِفْتَاحٍ لَا أَسْنَانَ لَهُ لَمْ يُمْكِنْ الْفَتْحُ بِهِ. وَأَسْنَانُ هَذَا الْمِفْتَاحِ هِيَ: الصَّلَاةُ، وَالصَّيَامُ، وَالزَّكَاةُ، وَالْحَجُّ، وَالْجِهَادُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَصَدَقُ الْحَدِيثُ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، فَأَيُّ عَبْدٍ اتَّخَذَ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِفْتَاحًا صَالِحًا مِنَ التَّوْحِيدِ، وَرَكَّبَ فِيهِ أَسْنَانًا مِنَ الْأَوَامِرِ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَعَهُ مِفْتَاحُهَا الَّذِي لَا تُفْتَحُ إِلَّا بِهِ، فَلَمْ يُعْقِدْهُ عَنِ الْفَتْحِ عَائِقٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ ذَنْبٌ وَخَطَايَا وَأَوْزَارٌ لَمْ يَذْهَبْ عَنْهُ أَثَرُهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَإِنَّهُ يُجَبِّسُ عَنِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَتَطَهَّرَ مِنْهَا، وَإِنْ لَمْ يُطَهَّرْهُ الْمَوْقِفُ وَأَهْوَالُهُ وَشِدَائِدُهُ، فَلَا بَدَّ مِنْ دُخُولِ النَّارِ لِيُخْرِجَ خَبْثَهُ فِيهَا، وَيَتَطَهَّرَ مِنْ ذَرَنِيهِ وَوَسْخِهِ، ثُمَّ يُخْرِجَ

منها فيدخل الجنة، فإنها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب. قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول، أي: بسبب طيبكم قيل لكم: ادخلوها.

وأما النار، فإنها دار الخبيث في الأقوال والأعمال، والمأكَل والمشارب، ودار الخبيثين، قال الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧] فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض، فيركمه كما يركم الشيء المتراكم بعضه إلى بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله، فليس فيها إلا خبيث.

ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يثبته خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبيث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفتيان، ودار لمن معه خبيث وطيب، وهي الدار التي تفتى، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار، فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض.



[تعظيم شأن الصلاة]

وقوله في الحديث: «وَأَمْرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ، فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ».

الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:
أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى.

والثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه. ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفّت بقلبه أو بصره، أعرض الله تعالى عنه. وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»^(١).

والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقربه وأغبطه للشيطان، وأشدّه عليه، فهو يحرص ويجهّد كلّ الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعدّه ويمنيه ونسيه، ويحلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها.

فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة، وأيس منها، فيذكّره إياها في الصلاة فيشغل قلبه بها، ويأخذّه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل، الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطايا وذنوبه وأثقاله، لم تخفف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدّى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه.

فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأنقال قد وضعت عنه، فوجد

نشاطاً وراحةً وروحاً، حتى يتمنى أنه لم يكن خَرَجَ منها؛ لأنها قُرْءُ عينه ونعيمُ روحه، وجنةٌ قلبه، ومُستراحُه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجنٍ وضيقٍ حتى يَدْخُلَ فيها، فيستريحُ بها، لا منها، فالمحبُّون يقولون: نصلي فنستريحُ بصلَاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبِيُّهم ﷺ: «يَا بَلَالُ أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(١)، وَلَمْ يَقُلْ: أَرِحْنَا مِنْهَا.

وقال ﷺ: «جُعِلَتْ قُرْءُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢). فَمَنْ جُعِلَتْ قُرْءُ عينه في الصَّلَاةِ، فكيف تَقَرَّرَ عينه بدونها، وكيف يُطِيقُ الصَّبْرَ عنها؟

فصلاةٌ هذا الحاضرِ بقلبه الذي قُرْءُ عينه في الصلاة، هي التي تَصْعَدُ ولها نورٌ وبرهانٌ، حتى يَسْتَقْبِلَ بها الرَّحْمَنَ عَزَّ وَجَلَّ، فتقولُ: «حَفِظَكَ اللهُ تعالى كما حَفِظْتَنِي»، وأما صلاةُ الْمُفَرِّطِ الْمُضْطَّعِ لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تَلْفُ كما يَلْفُ الثَّوْبُ الحَلِيقُ، ويَضْرِبُ بها وَجْهَ صَاحِبِهَا وتقولُ: «ضَيَعَكَ اللهُ كما ضَيَعْتَنِي».

فالصلاةُ المقبولة، والعملُ المقبولُ أن يصلي العبدُ صلاةً تَلِيقُ بربه عزَّ وجلَّ، فإذا كانت صلاةٌ تَصْلُحُ لربه تبارك وتعالى وتَلِيقُ به، كانت مقبولةً.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهما: أن يصلي العبدُ وَيَعْمَلَ سائرَ الطاعاتِ وقلبه مُتَعَلِّقٌ بالله عزَّ وجلَّ، ذاكراً لله عزَّ وجلَّ على الدَّوامِ، فأعمالُ هذا العبدِ تُعْرَضُ على الله عزَّ وجلَّ حتى تَقِفَ قُبَالَتِهِ، فيَنْظُرُ اللهُ عزَّ وجلَّ إليها، فإذا نَظَرَ إليها رآها خَالِصَةً لَوَجْهِهِ مَرْضِيَّةً، وقد صَدَرَتْ عن قلبٍ سليمٍ مُخْلِصٍ محبٍّ لله عزَّ وجلَّ مُتَقَرِّبٍ إليه، أحبَّها وَرَضِيَهَا وَقَبِلَهَا.

والقسم الثاني: أن يَعْمَلَ العبدُ الأَعْمَالَ على العادة والغفلة، وَيَتَوَيَّ بِهَا الطَّاعَةَ والتَقَرُّبَ إلى الله، فأركانه مُشْغُولَةٌ بالطَّاعَةِ، وقلبه لاهٍ عن ذكرِ الله، وكذلك سائرُ أَعْمَالِهِ، فإذا رُفِعَتْ أَعْمَالُ هذا إلى الله عزَّ وجلَّ لم تَقِفْ مُجَاهَهُ، ولا يَقَعُ نَظَرُهُ عَلَيْهَا، ولكن تُوَضَّعُ حيث تُوَضَّعُ دواوينُ الأَعْمَالِ، حتى تُعْرَضَ عليه يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتُمَيِّزُ، فيُثَبِّهه على ما كان له

(١) أبو داود (٤٩٨٥، ٤٩٨٦).

(٢) النسائي (٣٩٣٩).

منها، ويردّ عليه ما لم يُردّ وجهه به منها.



مراتب الناس في الصلاة

والناسُ في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: مَنْ يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوسوس والافكار.

الثالث: مَنْ حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والافكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق منه صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: مَنْ إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربّه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: مَنْ إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه عز وجل، ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قريب العين به.

فالقسم الأول مُعاقِب، والثاني مُحاسِب، والثالث مُكفّر عنه، والرابع مُثاب، والخامس مُقرّب من ربه؛ لأنّ له نصيباً من جُعِلَتْ قُرّة عينه في الصلاة، فَمَنْ قَرَّتْ عينه بصلاته في الدنيا، قَرَّتْ عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقَرَّتْ عينه أيضاً به في الدنيا، وَمَنْ قَرَّتْ عينه بالله قَرَّتْ به كل عين، وَمَنْ لم تَقَرَّ عينه بالله تعالى تَقَطَّعتْ نفسه على الدنيا حسرات.

[أقسام القلوب]

وإِنَّمَا يَقْوَى الْعَبْدُ عَلَى حُضُورِهِ فِي الصَّلَاةِ وَاسْتِغَالِهِ فِيهَا بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا قَهَرَ شَهْوَتُهُ وَهَوَاهُ، وَإِلَّا فَقَلْبٌ قَدْ قَهَرَتْهُ الشَّهْوَةُ، وَأَسْرَهُ الْهَوَى، وَوَجَدَ الشَّيْطَانُ فِيهِ مَقْعَدًا تَمَكَّنَ فِيهِ، كَيْفَ يَخْلُصُ مِنَ الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ؟!

والقلوبُ ثلاثة:

الأول: قلبٌ خالٍ من الإيمان وَجَمِيعِ الْخَيْرِ، فَذَلِكَ قَلْبٌ مُظْلِمٌ قَدْ اسْتَرَحَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِقْدَاءِ الْوَسَاوِسِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ اتَّخَذَهُ بَيْتًا وَوُطْأًا، وَتَحَكَّمَ فِيهِ بِمَا يَرِيدُ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ غَايَةً التَّمَكُّنِ.

الثاني: قلبٌ قَدْ اسْتَتَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ، وَأَوْقَدَ فِيهِ مِصْبَاحَهُ، لَكِنْ عَلَيْهِ ظِلْمَةُ الشَّهَوَاتِ وَعَوَاصِفُ الْأَهْوِيَةِ، فَلِلشَّيْطَانِ هُنَاكَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ وَمَجَالَاتٌ وَمَطَالَعٌ، فَالْحَرْبُ دُورٌ وَسِجَالٌ.

وتختلف أحوالُ هذا الصنفِ بِالْقِلَّةِ وَالكَثْرَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلَبَتِهِ لِعَدُوِّهِ أَكْثَرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلَبَةِ عَدُوِّهِ لَهُ أَكْثَرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَارَةً وَتَارَةً.

الثالث: قلبٌ مُحْشُوٌّ بِالْإِيمَانِ قَدْ اسْتَتَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ، وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ حُجُبُ الشَّهَوَاتِ، وَأَقْلَعَتْ عَنْهُ تِلْكَ الظُّلُمَاتُ، فَلَنُورِهِ فِي قَلْبِهِ إِشْرَاقٌ، وَلِذَلِكَ الْإِشْرَاقُ إِيقَادُ لَوْ دَنَا مِنْهُ الْوَسْوَاسُ اخْتَرَقَ بِهِ، فَهُوَ كَالسَّمَاءِ الَّتِي حُرِسَتْ بِالنُّجُومِ، فَلَوْ دَنَا مِنْهَا الشَّيْطَانُ يَتَخَطَّأُهَا رُجِمَ فَاخْتَرَقَ، وَلَيْسَتْ السَّمَاءُ بِأَعْظَمَ حُرْمَةً مِنَ الْمُؤْمِنِ، وَحِرَاسَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أَتَمُّ مِنْ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ، وَالسَّمَاءُ مَتَعَبُدُ الْمَلَائِكَةِ، وَمُسْتَقَرُّ الْوَحْيِ، وَفِيهَا أَنْوَارُ الطَّاعَاتِ، وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ مُسْتَقَرُّ التَّوْحِيدِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ، وَفِيهِ أَنْوَارُهَا، فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يُجْرَسَ وَيُحْفَظَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ، فَلَا يَنَالُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ وَخَطْفَةٍ.

فَقَلْبٌ خَلَا مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَهُوَ قَلْبُ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ، فَذَلِكَ بَيْتُ الشَّيْطَانِ، قَدْ أَحْرَزَهُ لِنَفْسِهِ وَاسْتَوَطَنَهُ وَاتَّخَذَهُ سَكَنًا وَمُسْتَقَرًّا، فَأَيُّ شَيْءٍ يَسْرِقُ مِنْهُ وَفِيهِ خَزَائِنُهُ وَذَخَائِرُهُ وَشُكُوكُهُ وَخِيَالُهُ وَوَسَاوِسُهُ؟

وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبيته ومراقبته والحياء منه، فأى شيطان يجترئ على هذا القلب؟ وإن أراد سرقة شيء منه، فماذا يسرق، وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهية يحصل له على غرة من العبد وغفلة لا بد له منها، إذ هو بشر، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهر والدُّهول وغلبة الطبع.

وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والإيمان به والتصديق بوعدِهِ ووعدِهِ، وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعي الهوى والطبع.

وقلب بين هذين الداعيين، فمرة يميل بقلبه داعي الإيمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وإرادته وحده، ومرة يميل بقلبه داعي الشيطان والهوى والطباع، فهذا القلب للشيطان فيه مطمع، وله منه منازلات ووقائع، ويُعطي الله النصر لمن يشاء ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه، فيدخل إليه الشيطان، فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به، فإن أسلحته هي الشهوات والشبهات والخيالات والأمانى الكاذبة، وهي في القلب، فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب، فإن كان عند العبد عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العتدة وتزيد عليها، انتصف من الشيطان، وإلا فالدولة لعدوه عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فإذا أذن العبد لعدوه وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكّنه من السلاح يقاتله به، فهو الملولم.

فَنَفْسُكَ لَمْ وَلَا تَلَمْ الْمَطَايَا وَمَتَّ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اعْتَدَارُ



[حَقِيقَةُ الصَّيَامِ]

قوله ﷺ: «وَأَمُرُكُمْ بِالصَّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ ضُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

إنَّما مَثَلُ ﷺ ذلك بصاحب الضَّرَّةِ التي فيها المسك؛ لأنَّها مَسْتُورَةٌ عن العيون، مَخْبُوءَةٌ تحت ثيابه، كعادةِ حاملِ المسك، وهكذا الصائم صَوْمُهُ مَسْتُورٌ عن مشاهدة الخلق، لا تُدْرِكُهُ حواسُّهم، والصائم هو الذي صامَتْ جوارحُه عن الآثام، ولسانُه عن الكذبِ والفُحْشِ وقولِ الزور، وبطنُه عن الطعامِ والشرابِ، وفرجُه عن الرَّفَثِ، فإن تَكَلَّمَ لم يَتَكَلَّمْ بما يَجْرَحُ صَوْمَهُ، وإن فَعَلَ لم يَفْعَلْ ما يُفْسِدُ صَوْمَهُ، فيخرجُ كلامُه كُلُّهُ نافعًا صالحًا وكذلك أَعْمَالُهُ، فهي بمنزلةِ الرائحةِ التي يَشُمُّها من جالسٍ حاملٍ المسك، كذلك مَنْ جالسٍ الصائم انتفع بمجالستِهِ له، وأَمِنَ فيها من الزُّورِ والكذبِ والفجورِ والظلمِ.

هذا هو الصومُ المشروع، لا مجردُ الإمساكِ عن الطعامِ والشرابِ.

ففي الحديث الصحيح: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(١). وفي الحديث: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»^(٢).

فالصومُ هو صومُ الجوارحِ عن الآثام، وصومُ البطنِ عن الشرابِ والطعامِ، فكما أن الطعامَ والشرابَ يَقْطَعُهُ وَيُفْسِدُهُ، فهكذا الآثامُ تقطعُ ثوابه وتفسدُ ثمرته، فتصيرُهُ بمنزلةِ مَنْ لَمْ يَصُمْ.

وقد اختلفَ في وجودِ هذه الرائحةِ من الصائم، هل هي في الدنيا، أو في الآخرة؟ على قولين.

(١) البخاري (٦٠٥٧).

(٢) ابن ماجه (١٦٩٠).

وفصل النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة؛ فلائته الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوّف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه فُبح رائحة دم الكفار وسواد وجوههم، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يُمسون؛ فلائته وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبها زائداً على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد، فربّ مكروه عند الناس، محبوب عند الله تعالى، وبالعكس فإنّ الناس يكرهونه لنافرته طباعهم، والله تعالى يستطيعه ويحبّه لموافقته أمره ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد، وصار علانية، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر.

وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة، وقد يقوى العمل ويتزايد، حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر، كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس: إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورا في القلب، وقوة في البدن، وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق، وإنّ للسيئة سوادا في الوجه، وظلمة في القلب، وهنّا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق.

وقال عثمان بن عفان: ما عمل رجل عملاً إلاّ ألّسه الله تعالى رداءه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وهو أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتى إنّ الرجل البرّ الطيب - لتشّمْ منه رائحة طيبة وإن لم يمسّ طيباً، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهواء لا يشمّ لا هذا، ولا هذا؛ بل زكّامه يحمل على الإنكار، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.



[في فضل الصدقة]

وقوله: «وَأْمُرْكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيُضْرَبَ عُنُقُهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْتَدِي مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَقَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ».

هذا أيضًا من الكلام الذي بُرِهَانُهُ وجودُهُ، ودليلُهُ وقوعُهُ، فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأثيرًا عَجيبًا في دفعِ أنواعِ البلاءِ، ولو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ، بل من كافرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ أَنْواعًا من البلاءِ، وهذا أمرٌ معلومٌ عندِ النَّاسِ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقَرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ جَرَّبُوهُ.

وقد رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ الشَّوْءِ»^(١). وَكَمَا أَنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَهِيَ تُطْفِئُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأُصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ»^(٢)، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ.

وَفِي تَمْثِيلِ النَّبِيِّ ﷺ ذَلِكَ بِمَنْ قَدَّمَ لِيُضْرَبَ عُنُقُهُ فَافْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِإِلَهٍ كَفَايَةٍ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَفْدِي الْعَبْدَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ تَقْتَضِي هَلَاكَهُ، فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ تَفْدِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَتَفْكُهُ مِنْهُ.

وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لَمَّا خَطَبَ النِّسَاءَ يَوْمَ الْعِيدِ: «يَا مَعْشَرَ

(١) الترمذي (٦٦٤).

(٢) الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»^(١). وكأنه حَثُّهُنَّ وَرَغَبُهُنَّ عَلَى مَا يَفْدِيَنَ بِهِ أَنْفُسَهُنَّ مِنَ النَّارِ.

وفي «الصحيحين» عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيِّئُ كُلِّكُمْ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ ثَمَرَةٍ»^(٢).

وفي حديث أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: مَاذَا يُنْجِي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلٌ؟ قَالَ: «أَنْ تَرْضَخَ»^(٣) مِمَّا حَوَّلَكَ اللَّهُ أَوْ تَرْضَخَ مِمَّا رَزَقَكَ اللَّهُ؛ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ فَقِيرًا لَا يَجِدُ مَا يَرْضَخُ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ». قُلْتُ: إِنْ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «فَلْيُعِنِ الْآخَرَقُ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَضَعُ؟ قَالَ: «فَلْيُعِنِ مَظْلُومًا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَ مَظْلُومًا؟ قَالَ: «مَا تُرِيدُ أَنْ تَتَرَكَ فِي صَاحِبِكَ مِنْ خَيْرٍ؟ لِيُمْسِكَ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ»؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ فَعَلَ هَذَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُصِيبُ خَصْلَةً مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ» ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ «شُعَبِ الْإِيمَانِ»^(٤).

وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، أَوْ جُتَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، قَدْ اضْطَرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تُدْبِيهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا، فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تَغْشَى أَنْامِلَهُ وَتَعْفُو أَثَرَهُ، وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ، قَلَصَتْ، وَأَخَذَتْ كُلَّ حَلَقَةٍ مَكَائِبَهَا»^(٥).

(١) الترمذي (٦٣٥، ٦٣٦). وهو في الصحيحين دون ذكر النار.

(٢) البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) ترضخ: تعطي.

(٤) شعب الإيمان (٣٣٢٨) وهو في الصحيحين مختصراً.

(٥) البخاري (٧٩٩٧)، ومسلم (١٠٢١).

وَرَوَى عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»^(١).

ولمّا كان البخيلُ محبوباً عن الإحسانِ، ممنوعاً عن البرِّ والخير، كان جزاؤه من جنسِ عمله، فهو ضيقُ الصدرِ، ممنوعٌ من الانشراحِ، ضيقُ العطنِ^(٢)، صغيرُ النفسِ، قليلُ الفرحِ، كثيرُ الهمِّ والغمِّ والحزنِ، لا يكادُ تُقضى له حاجةٌ، ولا يُعانُ على مطلوبٍ.

فهو كرجلٍ عليه جُبَّةٌ من حديدٍ، قد جُمعت يداها إلى عنقه بحيث لا يتمكنُ من إخراجها ولا حركتها، وكلّما أراد إخراجها، أو توسيع تلك الجُبَّةِ لَزِمَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مِنْ حِلَقِهَا مَوْضِعَهَا، وهكذا البخيلُ كلّما أراد أن يتصدقَ منعه بخلُه فبقيَ قلبُه في سجنِه كما هو، والمتصدقُ كلّما تصدَّقَ بصدقةٍ انشرح لها قلبُه، وانفسَحَ بها صدرُه، فهو بمنزلةِ اتساع تلك الجُبَّةِ عليه، فكُلّما تصدَّقَ اتسع وانفسَحَ وانشرح، وقوي فرحُه، وعظُم سرورُه، ولو لم يكن في الصدقةِ إلّا هذه الفائدة وحدها، لكان العبدُ حقيقاً بالاستكثارِ منها والمبادرةِ إليها. وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦].

وكان عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ يطوفُ بالبيتِ وليس له دأبٌ إلّا هذه الدعوة: رَبِّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي، رَبِّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي، فَقِيلَ لَهُ: أَمَا تَدْعُو بِغَيْرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ؟ فَقَالَ: إِذَا وُقِيتُ شُحَّ نَفْسِي، فَقَدْ أَفْلَحْتُ.



(١) البخاري (١٤٤٥، ٦٠٢٢)، ومسلم (١٠٠٨).

(٢) ضيق العطن: جزع، لا صبر له ولا حيلة ولا مروءة.

[الفرق بين الشح والبخل وحقيقة السخاء]

والفرق بين الشح والبخل، أن الشح: هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء^(١) في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وجبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمره الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦].

والسخي قريب من الله تعالى، ومن خلقه، ومن أهله، وقريب من الجنة، وبعيد من النار، والبخل بعيد من الله بعيد من خلقه، بعيد من الجنة، قريب من النار، فجود الرجل يحبه إلى أضداده، وبخله يبعده إلى أولاده كما قيل:

وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ	وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ بِحَيْمًا سَخَاؤُهُ
تَغْطِ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ فَإِنِّي	أَرَى كُلَّ عَيْبٍ فَالسَّخَاءُ غَطَاؤُهُ
وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا فَإِنَّمَا	يَزِينُ وَيُزِرِي بِالْفَتَى قُرْنَاؤُهُ
وَأَقِلَّ إِذَا مَا اسْطَعْتَ قَوْلًا فَإِنَّهُ	إِذَا قَلَّ قَوْلُ الْمَرْءِ قَلَّ خَطَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّ صَدِيقُهُ	وَصَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يَذَرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا	أَقْدَامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقًا لِنَفْسِهِ	فَنَادِي بِهِ فِي النَّاسِ هَذَا جَزَاؤُهُ

وحد السخاء: بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة.

والسخاء نوعان:

فأشرفهما: سخاؤك عما بيد غيرك.

(١) الإحفاء: الإلحاح.

والثاني: سخاؤك ببذل ما في يدك.

فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يُعطيهم شيئاً؛ لأنه سخا عما في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم: السخاء أن تكونَ بِإِلِكَ متبرِّعاً وعن مالٍ غيرك متورِّعاً.

وفي الترمذي: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَائِدٍ بِخِيلٍ»^(١).

وهو سبحانه وتعالى رحيمٌ يُحِبُّ الرَّحَمَاءَ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ مَنْ عَابَدَهُ الرَّحَمَاءُ، وَهُوَ سِتِيرٌ يُحِبُّ مَنْ يَسْتُرُ عَلَى عِبَادِهِ، وَعَفْوٌ يُحِبُّ مَنْ يَغْفِرُ عَنْهُمْ، وَغَفُورٌ يُحِبُّ مَنْ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَلَطِيفٌ يُحِبُّ اللَّطِيفَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُبْغِضُ الْفَظْظَ الْغَلِيظَ الْقَاسِيَّ الْجَعْظَرِيَّ الْجَوَاطَ^(٢)، وَرَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَحَلِيمٌ يُحِبُّ الْحِلْمَ، وَبَرٌّ يُحِبُّ الْبِرَّ وَأَهْلَهُ، وَعَدْلٌ يُحِبُّ الْعَدْلَ، وَقَابِلُ الْمَعَاذِيرِ، يُحِبُّ مَنْ يَقْبَلُ مَعَاذِيرَ عِبَادِهِ، وَيَجَازِي عَبْدَهُ بِحَسَبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِيهِ وَجُودًا وَعَدَمًا، فَمَنْ عَفَا عَفَا عَنْهُ، وَمَنْ غَفَرَ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ سَامَحَ سَامَحَهُ، وَمَنْ حَاقَقَ^(٣) حَاقَقَهُ، وَمَنْ رَفَقَ بِعِبَادِهِ رَفَقَ بِهِ، وَمَنْ رَحِمَ خَلْقَهُ رَحِمَهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَمَنْ جَادَ عَلَيْهِمْ جَادَ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَفَعَهُمْ نَفَعَهُ، وَمَنْ سَتَرَهُمْ سَتَرَهُ، وَمَنْ صَفَحَ عَنْهُمْ صَفَحَ عَنْهُ، وَمَنْ تَتَبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَبَعَ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ هَتَكَهُمْ هَتَكَهُ وَفَضَحَهُ، وَمَنْ مَنَعَهُمْ خَيْرَهُ مَنَعَهُ خَيْرَهُ، وَمَنْ شَاقَّ اللَّهَ شَاقَّ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ، وَمَنْ مَكَرَ مَكَرَ بِهِ، وَمَنْ خَادَعَ خَادَعَهُ، وَمَنْ عَامَلَ خَلْقَهُ بِصِفَةِ عَامِلِهِ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الصِّفَةِ بَعَيْنِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَاللَّهُ تَعَالَى لِعَبْدِهِ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ لَخَلْقِهِ. وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى حِسَابَهُ»^(٤)، وَمَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) الترمذي (١٩٦١).

(٢) الجعظري: الفظ الغليظ المتكبر. والجواط: الجموع المنوع وقيل المتكبر.

(٣) حاقق: خاصم وجادل.

(٤) مسلم (٢٦٩٩).

عَرْشَتُهُ»^(١)، و«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَهُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّ عَرْشِهِ»^(٢). لِأَنَّهُ لَمَّا جَعَلَهُ فِي ظِلِّ الْإِنْظَارِ وَالصَّبْرِ، وَنَجَّاهُ مِنْ حَرِّ الْمَطَالِبَةِ، وَحَرَارَةِ تَكْلِفِ الْأَدَاءِ مَعَ عَسْرَتِهِ وَعَجَزِهِ، نَجَّاهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى ظِلِّ الْعَرْشِ.

وكذلك الحديثُ الذي في التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمًا: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»^(٣).

فكَمَا ثَدِينُ ثَدَانٍ: وَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَكَ كَمَا تَكُونُ أَنْتَ لَهُ وَلِعِبَادِهِ.

والمقصود أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل المسك، ويوسع عليه في ذاته، وخلقِه، ورزقِه، ونفسِه، وأسبابِ معيشَتِه، جزاءً له من جنسِ عملِه.



(١) أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩). وفيهما: «مسلمًا».

(٢) مسلم (٣٠٠٦).

(٣) أبو داود (٤٨٨٠)، والترمذي (٢٠٣٢).

[في فضل الذكر]

وقوله ﷺ: «وَأَمَرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى إِلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَخْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُجِرُّ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ»: فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الحصلة الواحدة، لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتُر لسأته من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجًا بذكره، فإنه لا يجرُّ نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكّر الله تعالى انخنس عدو الله وتصاغر، وانقمع، حتى يكون كالوصع^(١) وكالذباب، ولهذا سُمي الوسواس الخناس، أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس، أي: كفّ وانقبض.

وقال ابن عباس: الشيطان جائئ على قلب ابن آدم، فإذا سَهَا وَغَفَلَ وَسَّوسَ، فإذا ذكّر الله تعالى خنس.

وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضَرَّبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكّر الله عز وجل»^(٢).

وفي «صحيح مسلم»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُحْدَان، فَقَالَ: «سَيَرُوا هَذَا جُحْدَانُ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». قِيلَ: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(٣).

وفي «السنن» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ

(١) الوصع: طائر أصغر من العصفور يقال له: «النغر».

(٢) أحمد (٢٣٩/٥). وروي عن أبي الدرداء مرفوعًا كما عند الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد

(١٩٥/٥).

(٣) مسلم (٢٦٧٦).

يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ»^(١).

وفي «صحيح مسلم»، عن الأغرّ أبي مُسلم قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٢).

وفي الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ كَثِيرَةٌ، وَلَا أَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِكُلِّهَا، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَسَبَّحُ بِهِ، وَلَا تُكْثِرُ عَلَيَّ فَأَنْسِيَ، وَفِي رَوَايَةٍ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا قَدْ كَبِرْتُ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَسَبَّحُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى»^(٣).

وفي «صحيح البخاري»، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٤).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(٥).

وفي الترمذي عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَزْتُمْ بَرِيضَ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»^(٦).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

(١) أبو داود (٤٨٥٥).

(٢) مسلم (٢٧٠٠).

(٣) الترمذي (٣٣٧٥) وابن ماجه (٣٧٩٣).

(٤) البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) بنحوه.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٦) الترمذي (٣٥١٠).

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿[الأنفال: ٤٥]﴾ فَأَمْرُهُم بِالذِّكْرِ الْكَثِيرِ وَالْجِهَادِ مَعًا، لِيَكُونُوا عَلَى رَجَاءٍ مِنَ الْفَلَاحِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذَا كَرِهَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذَا كَرِهَ﴾ [الأحزاب: ٣٥] أَيْ: كَثِيرًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأَيُّ لحظةٍ خَلَا فيها العبدُ عن ذكرِ الله عزَّ وجلَّ كانت عليه، لا له، وكان خسرانُهُ فيها أعظمَ مما ربحَ في غفلته عن الله.

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءٌ، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالَةٌ، وَإِنَّ صِقَالَةَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «وَلَوْ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ»^(١).

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ النُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَغَيْرُهُمَا، وَجِلَاؤُهُ بِالذِّكْرِ، فَإِنَّهُ يَجْلُوهُ حَتَّى يَدَعُهُ كَالْمَرَاةِ الْبِيضَاءِ، فَإِذَا تَرَكَ الذِّكْرَ صَدِئٌ، فَإِذَا ذَكَرَ جَلَاءَ.

وَصَدَأَ الْقَلْبَ بِأَمْرَيْنِ: بِالْغَفْلَةِ وَالذَّنْبِ، وَجِلَاؤُهُ بِشَيْئَيْنِ: بِالِاسْتِغْفَارِ وَالذِّكْرِ. فَمَنْ كَانَتِ الْغَفْلَةُ أَغْلَبَ أَوْقَاتِهِ، كَانَ الصَّدَأُ مُتْرَاكِبًا عَلَى قَلْبِهِ، وَصَدُوءُهُ بِحَسَبِ غَفْلَتِهِ، وَإِذَا صَدِئَ الْقَلْبُ، لَمْ تَنْطَبِعْ فِيهِ صُورُ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، فِيرَى الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَالْحَقَّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا تَرَكَ عَلَيْهِ الصَّدَأَ أَظْلَمَ، فَلَمْ تَظْهَرْ فِيهِ صُورَةُ الْحَقَائِقِ كَمَا هِيَ عَلَيْهِ.

فإذا تراكم عليه الصداً واسودَّ، وركبه الرآن، فسَدَّ تصوُّرُهُ وإدراكُهُ، فلا يقبلُ حقًّا، ولا ينكرُ باطلاً، وهذا أعظمُ عقوباتِ القلبِ. وأصلُ ذلك من الغفلة، وأتباعِ الهوى، فإنَّهما يطمِسانِ نورَ القلبِ ويُعِمِّيَانِ بصرَهُ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].



[في فوائد الذكر]

وفي الذكر نحو من مائة فائدة:

إحداها: أَنَّهُ يطرُدُ الشيطانَ وَيَقْمَعُهُ وَيَكْسِرُهُ.

الثانية: أَنَّهُ يُرْضِي الرَّحْمَنَ عَزَّ وَجَلَّ.

الثالثة: أَنَّهُ يُزِيلُ الهمَّ والغَمَّ عن القلبِ.

الرابعة: أَنَّهُ يَجْلِبُ للقلبِ الفرحَ والسرورَ والبسطَ.

الخامسة: أَنَّهُ يُقَوِّي القلبَ والبَدَنَ.

السادسة: أَنَّهُ يُنَوِّرُ الوجهَ والقلبَ.

السابعة: أَنَّهُ يَجْلِبُ الرزقَ.

الثامنة: أَنَّهُ يَكْسُو الذاكرَ المهابةَ والحلاوةَ والنَّضْرَةَ.

التاسعة: أَنَّهُ يُورِثُهُ المحبةَ التي هي روحُ الإسلام، وقطبُ رحي الدين، ومدارُ السعادةِ والنَّجاةِ.

العاشرة: أَنَّهُ يُورِثُهُ المراقبةَ حتى يُدْخِلَهُ في بابِ الإحسانِ، فيعبُدُ اللهَ كأنَّه يراه، ولا سبيلَ للغافلِ عن الذكرِ إلى مقامِ الإحسانِ، كما لا سبيلَ للقاعدِ إلى الوصولِ إلى البيتِ.

الحادية عشرة: أَنَّهُ يُورِثُهُ الإنابةَ، وهي الرجوعُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

الثانية عشرة: أَنَّهُ يُورِثُهُ الْقُرْبَ مِنْهُ، فَعَلَى قَدْرِ ذِكْرِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ قُرْبُهُ مِنْهُ، وَعَلَى قَدْرِ غَفْلَتِهِ يَكُونُ بُعْدُهُ مِنْهُ.

الثالثة عشرة: أَنَّهُ يَفْتَحُ لَهُ بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الْمَعْرِفَةِ، وَكُلَّمَا أَكْثَرَ مِنَ الذِّكْرِ ازْدَادَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ.

الرابعة عشرة: أَنَّهُ يُورِثُهُ الْهَيْبَةَ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاجْلَالَهُ، لَشِدَّةِ اسْتِيلَانِهِ عَلَى قَلْبِهِ وَحُضُورِهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، بِخِلَافِ الْغَافِلِ، فَإِنَّ حِجَابَ الْهَيْبَةِ رَقِيقٌ فِي قَلْبِهِ.

الخامسة عشرة: أَنَّهُ يُورِثُهُ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الذِّكْرِ إِلَّا هَذِهِ وَحْدَهَا لَكَفَى بِهَا فَضْلًا وَشَرَفًا.

السادسة عشرة: أَنَّهُ يُورِثُ حَيَاةَ الْقَلْبِ، وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ يَقُولُ: الذِّكْرُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ الْمَاءِ لِلسَّمَكِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ السَّمَكِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ؟

السابعة عشرة: أَنَّهُ قُوْتُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، فَإِذَا فَقَدَهُ الْعَبْدُ صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْجَسَمِ إِذَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُوَّتِهِ.

الثامنة عشرة: أَنَّهُ يُورِثُ جِلَاءَ الْقَلْبِ مِنْ صَدْرِهِ.

التاسعة عشرة: أَنَّهُ يَحُطُّ الْخَطَايَا وَيُذْهِبُهَا، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْحَسَنَاتِ، وَالْحَسَنَاتُ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ.

العشرون: أَنَّهُ يُزِيلُ الْوَحْشَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الحادية والعشرون: أَنَّ مَا يَذْكُرُ بِهِ الْعَبْدُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَلَالِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ، يُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ عِنْدَ الشَّدَةِ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الْمُسْنَدِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ مَا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهْنٌ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّخْلُ يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَفَلَا يُحِبُّ

أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا يُذَكِّرُ بِهِ»^(١). هذا الحديث أو معناه.

الثانية والعشرون: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِذِكْرِهِ فِي الرِّخَاءِ، عَرَفَهُ فِي الشَّدَةِ.

الثالثة والعشرون: أَنَّهُ مُنْجَاةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ مُعَاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَيُرَوَّى مَرْفُوعًا: «مَا عَمِلَ آدَمِيُّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى»^(٢).

الرابعة والعشرون: أَنَّهُ سَبَبُ نَزُولِ السَّكِينَةِ، وَغَشْيَانِ الرَّحْمَةِ، وَحُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ بِالذَّاكِرِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ^(٣).

الخامسة والعشرون: أَنَّهُ سَبَبُ اشْتِغَالِ اللِّسَانِ عَنِ الْغِيبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالْكَذِبِ، وَالْفُحْشِ، وَالْبَاطِلِ.

السادسة والعشرون: أَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَجَالِسُ اللَّغْوِ وَالْغَفْلَةِ مَجَالِسُ الشَّيَاطِينِ، فَلْيَتَخَيَّرِ الْعَبْدُ أَعْجَبَهَا إِلَيْهِ، وَأَوْلَاهُمَا بِهِ، فَهُوَ مَعَ أَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

السابعة والعشرون: أَنَّهُ يَسْعَدُ الذَّاكِرُ بِذِكْرِهِ، وَيَسْعَدُ بِهِ جَلِيسُهُ، وَهَذَا هُوَ الْمُبَارَكُ أَيْنَ مَا كَانَ، وَالْغَافِلُ وَاللَّاغِي يَشْقَى بِلُغْوِهِ وَغَفْلَتِهِ، وَيَشْقَى بِهِ مُجَالِيسُهُ.

الثامنة والعشرون: أَنَّهُ يُؤْمِنُ الْعَبْدُ مِنَ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ كُلَّ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُ الْعَبْدُ فِيهِ رَبَّهُ تَعَالَى كَانَ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ وَتَرَةٌ^(٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

التاسعة والعشرون: أَنَّهُ مَعَ الْبُكَاءِ فِي الْحُلُوفَةِ سَبَبٌ لِإِظْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ يَوْمَ الْحَرِّ الْأَكْبَرِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ.

الثلاثون: أَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِهِ سَبَبٌ لِعَطَاءِ اللَّهِ لِلذَّاكِرِ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي السَّائِلِينَ.

(١) أحمد (٤/٢٦٨، ٢٧١)، وابن ماجه (٣٨٠٩).

(٢) أحمد (٥/٢٣٩).

(٣) مسلم (٢٧٠٠).

(٤) ترة: نقص.

الجاهلية والثلاثون: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

الثانية والثلاثون: أنه غراس الجنة.

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير، عن جابر عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»^(١) قَالَ الترمذي: حديث حسن صحيح.

الثالثة والثلاثون: أن العطاء والفضل الذي رُتّبَ عليه لم يُرتّب على غيره من الأعمال.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَحُيِّتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْرًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِيتَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٣).

وفي الترمذي عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمِيتُ وَإِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ»^(٤).

وفي الترمذي: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُخْبِي وَيُخَيِّتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَحُتِّ عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفٍ دَرَجَةٍ»^(٥).

(١) الترمذي (٣٤٦٥، ٣٤٦٤).

(٢) البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٣) مسلم (٢٦٩٥).

(٤) الترمذي (٣٣٨٩)، وأبو داود (٥٠٧٢)، وابن ماجه (٣٨٧٠).

(٥) الترمذي (٣٤٢٨)، وابن ماجه (٢٢٣٥).

الرابعة والثلاثون: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

وإذا نسي العبد نفسه، أعرض عن مصالحها ونسيها، واشتغل عنها، فهلكت وفسدت ولا بد، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاونه والقيام عليه، فأهمله ونسيه، واشتغل عنه بغيره، وضيع مصالحه، فإنه يفسد ولا بد.

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها، لكفى بها، فمن نسي الله تعالى أنسا نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٢﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿٣﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، أي: تنسى في العذاب كما نسيت آياتنا، فلم تذكرها ولم تعمل بها فيها.

وكان بعض العارفين يقول: لو علم المملوك وأبناء المملوك ما نحن فيه، لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر: مساكين أهل الدنيا، خرّجوا منها وما ذاقوا أطيّب ما فيها؟

قيل: وما أطيّب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفة وذكّره، أو نحو هذا.

فمحبة الله تعالى، ومعرفة، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراذه بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزّمايته وإرادته، هو جنة الدنيا، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرّة عين المحبين، وحياة العارفين.

وإنما تقرّ أعين الناس بهم على حسب قرّة أعينهم بالله عزّ وجلّ، فمن قرّت عينه

بالله، قَرَّتْ به كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ، تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ.

الخامسة والثلاثون: أَنَّ الذَّكَرَ يَسِيرُ الْعَبْدَ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فَرَّاشِهِ، وَفِي سَوْقِهِ، وَفِي حَالِ صِحَّتِهِ وَسَقَمِهِ، وَفِي حَالِ نَعِيمِهِ وَلَذَنِهِ، وَمَعَاشِهِ وَقِيَامِهِ، وَقَعُودِهِ وَاضْطِجَاعِهِ، وَسَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ، فَلَيْسَ فِي الْأَعْمَالِ شَيْءٌ يَعْمُ الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالِ مِثْلَهُ، حَتَّى إِنَّهُ يَسِيرُ الْعَبْدَ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى فَرَّاشِهِ، فَيَسْقُ الْقَائِمُ مَعَ الْغَفْلَةِ، فَيَصْبُحُ هَذَا النَّائِمُ وَقَدْ قَطَعَ الرِّكْبَ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى فَرَّاشِهِ، وَيَصْبُحُ ذَلِكَ الْقَائِمُ الْغَافِلُ فِي سَاقَةِ الرِّكْبِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

السادسة والثلاثون: أَنَّ الذَّكَرَ نُورٌ لِلذَّاكِرِ فِي الدُّنْيَا، وَنُورٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنُورٌ لَهُ فِي مَعَادِهِ، يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ، فَمَا اسْتَنَارَتِ الْقُلُوبُ وَالْقُبُورُ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُؤْمِنُ اسْتَنَارَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَذِكْرِهِ، وَالْآخِرُ هُوَ الْغَافِلُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، الْمُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَالشَّأْنُ كُلُّ الشَّأْنِ، وَالْفَلَاحُ كُلُّ الْفَلَاحِ، فِي النُّورِ، وَالشَّقَاءُ كُلُّ الشَّقَاءِ فِي فَوَاتِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَالِغُ فِي سُؤَالِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ يَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حِمِيهِ، وَعِظَامِهِ، وَعَصَبِهِ، وَشَعْرِهِ، وَبَشَرِهِ، وَسَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَمِنْ فَوْقِهِ، وَمِنْ تَحْتِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَخَلْفَهُ، وَأَمَامَهُ، حَتَّى يَقُولَ: «وَأَجْعَلْنِي نُورًا»^(١) فَسَأَلَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ النُّورَ فِي ذَاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَ حَيْطَابَهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ ذَاتَهُ وَجْهَهُ نُورًا.

فَدِينُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نُورٌ، وَكِتَابُهُ نُورٌ، وَرَسُولُهُ نُورٌ، وَدَارُهُ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ نُورٌ يَتَلَأَلُّ، وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ النُّورُ، وَأَشْرَقَتِ الظُّلُمَاتُ لِلنُّورِ وَجْهَهُ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

وقد صَرَّبَ اللهُ سبحانه وتعالى لنوره في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا العالمون، فقال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

قال أبي بن كعب: مِثْلُ نُورِهِ فِي قَلْبِ الْمُسْلِمِ.

وهذا هو النور الذي أودَّعه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به، وذكره، وهو نُورُه الذي أنزله إليهم، فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم، ثم تقوى مادته، فتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يُبصره مَنْ هو من جنسهم، وسائر الخلق له منكرون، فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور، وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم مَنْ نُورُه كالشمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنجم، وآخر كالسراج، وآخر يُعطى نوراً على إبهام قدميه، يُضيء مرةً، ويُطفأ أخرى، إذا كانت هذه حال نُورِه في الدنيا، فأعطي على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نُورِه ظهر له عياناً، ولما لم يكن للمنافق نورٌ ثابتٌ في الدنيا، بل كان نُورُه ظاهراً، لا باطناً، أُعطي نوراً ظاهراً مألوه إلى الظلمة والذهاب.

والمقصود: أَنَّ الذَّكَرَ يَنُورُ الْقَلْبَ وَالْوَجْهَ وَالْأَعْضَاءَ، وَهُوَ نُورُ الْعَبْدِ فِي دُنْيَاهُ، وَفِي الْبَرَزْخِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد، تُخْرُجُ أَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ، وَلَهَا نُورٌ وَبَرَهَانٌ، حَتَّى إِنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَكُونُ نُورُ أَعْمَالِهِ إِذَا صَعِدَتْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَنُورِ الشَّمْسِ، وَهَكَذَا نُورُ رُوحِهِ إِذَا قَدِمَ بِهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَكَذَا يَكُونُ نُورُهُ السَّاعِي بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهَكَذَا يَكُونُ نُورٌ وَجْهِهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ الْإِتِّكَالُ.

السابعة والثلاثون: أَنَّ الذَّكَرَ رَأْسُ الْأُمُورِ، وَطَرِيقُ عَامَّةِ الطَّائِفَةِ، وَمَنْشُورُ الْوَلَايَةِ،

فَمَنْ فُتِحَ لَهُ فِيهِ فَقَدْ فُتِحَ لَهُ بَابُ الدُّخُولِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَتَطَهَّرْ وَلْيَدْخُلْ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَجِدْ عِنْدَهُ كُلَّ مَا يَرِيدُ، فَإِنْ وَجَدَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فَاتَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاتَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

الثامنة والثلاثون: أَنَّ فِي الْقَلْبِ خَلَّةً وَفَاقَةً لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ أَلْتَبَتَهُ إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا صَارَ الذِّكْرُ شِعَارَ الْقَلْبِ، بَحِثْ يَكُونُ هُوَ الذَّاكِرُ بِطَرِيقِ الْأَصَالَةِ، وَاللِّسَانُ تَبَعٌ لَهُ، فَهَذَا هُوَ الذِّكْرُ الَّذِي يَسُدُّ الْخَلَّةَ، وَيُنْفِي الْفَاقَةَ، فَيَكُونُ صَاحِبُهُ غَنِيًّا بِلَا مَالٍ، عَزِيزًا بِلَا عَشِيرَةٍ، مَهِيًّا بِلَا سُلْطَانٍ، فَإِذَا كَانَ غَافِلًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ بِضَدِّ ذَلِكَ، فَقِيرٌ مَعَ كَثْرَةِ جِدَّتِهِ^(١)، ذَلِيلٌ مَعَ سُلْطَانِهِ، حَقِيرٌ مَعَ كَثْرَةِ عَشِيرَتِهِ.

التاسعة والثلاثون: أَنَّ الذِّكْرَ يَجْمَعُ الْمُتَفَرِّقَ، وَيَفَرِّقُ الْمُجْتَمِعَ، وَيَقْرُبُ الْبَعِيدَ، وَيُبْعِدُ الْقَرِيبَ.

فَيَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَهَوَاهُ وَعَزْوَمِهِ^(٢)، وَالْعَذَابُ كُلُّ الْعَذَابِ فِي تَفَرُّقِهَا وَتَشْتُّبِهَا عَلَيْهِ، وَانْفِرَاطِهَا لَهُ، وَالْحَيَاةُ كُلُّ الْحَيَاةِ وَالنَّعِيمُ فِي اجْتِمَاعِ قَلْبِهِ وَهَوَاهُ، وَعَزْوَمِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَيَفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَمُومِ، وَالْغُومِ، وَالْأَحْزَانِ، وَالْحَسَرَاتِ عَلَى قُوْتِ حَظْوْظِهِ وَمَطَالِبِهِ وَيَفَرِّقُ أَيْضًا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهِ وَأَوْزَارِهِ، حَتَّى تَتَسَاقَطَ عَنْهُ وَتَتَلَاشَى وَتَتَضَمَّحَلَّ. وَيَفَرِّقُ أَيْضًا مَا اجْتَمَعَ عَلَى حَرْبِهِ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ.

وَأَمَّا تَقْرِيبُهُ الْبَعِيدَ، فَإِنَّهُ يَقْرُبُ إِلَيْهِ الْآخِرَةَ الَّتِي يُبْعِدُهَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَالْأَمَلُ، فَلَا يَزَالُ يَلْهَجُ بِالذِّكْرِ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ دَخَلَهَا وَحَصَرَهَا، فَحِينَئِذٍ تَصْغُرُ فِي عَيْنِهِ الدُّنْيَا، وَتَعْظُمُ فِي قَلْبِهِ الْآخِرَةُ.

وَيُبْعِدُ الْقَرِيبَ إِلَيْهِ وَهِيَ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنَ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْآخِرَةَ مَتَى قَرَّبْتَ مِنْ قَلْبِكَ بَعُدَتْ مِنْهُ الدُّنْيَا، كُلَّمَا قَرَّبَ مِنْ هَذِهِ مَرِحْلَةً بَعُدَ مِنْ هَذِهِ مَرِحْلَةً، وَلَا

(١) جدته: غناه.

(٢) عزومه: ضعفه.

سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر والله المستعان.

الأربعون: أن الذكر يُنبئ القلب من نومه، ويُوقظه من سباته، والقلب إذا كان نائماً فائتته الأرباب والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاتته في نومه شدَّ المنزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاتته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نومٌ ثقیلٌ.

الحادية والأربعون: أن الذكر شجرة تُثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر.

الثانية والأربعون: أن الذاكر قريبٌ من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر، كما في الحديث الإلهي: «أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»^(١).

الثالثة والأربعون: أن الذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل، وقد تقدّم أن من قال في يوم مائة مرة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي...»^(٢) الحديث.

وقال ابن مسعود: لأن أسبَح الله تعالى تسبيحات أحب إليّ من أن أنفق عددهن دنائري في سبيل الله عز وجل.

وقد تقدّم حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَنْبِتُكُمْ بخير أعمالكم،

(١) البخاري (٧٥٢٤) معلقاً، ورواه موصولاً ابن ماجه (٣٧٩٢)، وأحد (٥٤٠/٢).

(٢) البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكَكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الْوَرِقِ وَالذَّهَبِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قَالَ: «ذَكَرَ اللَّهُ»^(١) رواه ابن ماجه والترمذي، وَقَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

الرابعة والأربعون: أَنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الشُّكْرِ، فَمَا شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ». وَلَمْ تَسْتَنْ حَالَهُ مِنْ حَالِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ رَبَّهُ تَعَالَى فِي حَالِ طَهَارَتِهِ وَجَنَابَتِهِ. وَأَمَّا فِي حَالِ التَّخَلِّي، فَلَمْ يَكُنْ يُشَاهِدُهُ أَحَدٌ يَحْكِي عَنْهُ، وَلَكِنْ شَرَعَ لَأَمَّتِهِ مِنَ الْأَذْكَارِ قَبْلَ التَّخَلِّي وَبَعْدَهُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَزِيدِ الْإِعْتِنَاءِ بِالذِّكْرِ، وَأَنَّهُ لَا يُحِلُّ بِهِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ وَبَعْدَهَا، وَكَذَلِكَ شَرَعَ لَأَمَّتِهِ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَ الْجَمَاعِ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»^(٢).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْهَذِيلِ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِيُحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ فِي السُّوقِ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، إِلَّا عَلَى الْخَلَاءِ».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَاذُ: «وَاللَّهِ يَا مُعَاذُ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ ذُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٣).

فَجَمَعَ بَيْنَ الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ، كَمَا جَمَعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] فَالذِّكْرُ وَالشُّكْرُ جَمَاعُ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ.

الخامسة والأربعون: أَنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُتَّقِينَ مَنْ لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا بِذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ اتَّقَاهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَجَعَلَ ذِكْرَهُ شِعَارَهُ.

فَالْتَقَوَى أَوْجِبَتْ لَهُ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَهَذَا هُوَ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ.

(١) الترمذي (٣٣٧٤)، وابن ماجه (٣٧٩٠).

(٢) البخاري (٣٢٧١)، ومسلم (١٤٣٤).

(٣) أبو داود (١٥٢٢).

والذِّكْرُ يُوجِبُ لَهُ الْقُرْبَ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَنْزَلَةُ.



[أقسام عمال الآخرة]

وَعَمَّالُ الْآخِرَةِ عَلَى قَسَمَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ عَلَى الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ عَلَى الْمَنْزِلَةِ وَالدرَجَةِ، فَهُوَ يَنَافِسُ غَيْرَهُ فِي الْوَسِيلَةِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَسَابِقُ إِلَى الْقُرْبِ مِنْهُ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّوْعَيْنِ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]، فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْمَنْزِلَةِ وَالْقُرْبِ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩] فَقِيلَ: هَذَا عَظْفٌ عَلَى الْخَبَرِ عَنْ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَأَنَّهُمُ الشُّهَدَاءُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ عَلَى الْأُمَمِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِخَيْرٍ آخَرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، فَيَكُونُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ:

أَنَّهُمْ صَادِقُونَ، وَشُهَدَاءُ، فَهَذِهِ هِيَ الْمَرْتَبَةُ وَالْمَنْزَلَةُ، قِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الصَّادِقُونَ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ حَالَ الشُّهَدَاءِ فَقَالَ: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، فَيَكُونُ قَدْ ذَكَرَ الْمُتَصَدِّقِينَ أَهْلَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، ثُمَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَدْ رَسَخَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ وَامْتَلَأُوا مِنْهُ، فَهُمْ الصَّادِقُونَ، وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالْأَوَّلُونَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَكْمَلُ صَدِيقِيَّةٍ مِنْهُمْ.

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ الشُّهَدَاءَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى يُجْرِي عَلَيْهِمْ رِزْقَهُمْ وَنُورَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا بَدَلُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى أَثَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا، أَنْ جَعَلَ لَهُمْ أَحْيَاءَ عِنْدَهُ يُرَزَّقُونَ، فَيَجْرِي عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ وَنُورُهُمْ، فَهَؤُلَاءِ السَّعْدَاءُ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْأَشْقِيَاءَ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَجْحِيمِ﴾

السادسة والأربعون: أَنَّ فِي الْقَلْبِ قِسْوَةً لَا يُذِيهْهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَدَاوِيَ قِسْوَةَ قَلْبِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَذَكَرَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْمَعْلَى بْنِ زِيَادٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَشْكُو إِلَيْكَ قِسْوَةَ قَلْبِي، قَالَ أَذْبُهُ بِالذِّكْرِ.

السابعة والأربعون: أَنَّ الذِّكْرَ شِفَاءُ الْقَلْبِ وَدَوَاؤُهُ، وَالْغَفْلَةُ مَرَضُهُ، فَالْقُلُوبُ مَرِيضَةٌ، وَشِفَاؤُهَا وَدَوَاؤُهَا فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ مُنْجِدُ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى شِفَاءٌ، وَذِكْرُ النَّاسِ دَاءٌ.

الثامنة والأربعون: أَنَّ الذِّكْرَ أَصْلُ مَوَالَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَأْسُهَا، وَالْغَفْلَةُ أَصْلُ مَعَادَاةِهِ وَرَأْسُهَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ يَذْكُرُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يُحِبَّهُ فَيُوَالِيهِ، وَلَا يَزَالُ يَغْفُلُ عَنْهُ حَتَّى يُبْغِضَهُ فَيَعَادِيهِ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: قَالَ حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ: مَا عَادَى عَبْدٌ رَبَّهُ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكْرَهُ ذِكْرَهُ أَوْ مَنْ يَذْكُرُهُ.

التاسعة والأربعون: أَنَّهُ مَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقْمُهُ بِمَثَلِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالذِّكْرُ جَلَابٌ لِلنِّعَمِ، دَافِعٌ لِلنِّقَمِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

الخمسون: أَنَّ الذِّكْرَ يُوجِبُ صَلَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى الذَّاكِرِ، وَمَنْ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ، فَقَدْ أَفْلَحَ كُلَّ الْفَلَاحِ، وَفَازَ كُلَّ الْفَوْزِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

الحادية والخمسون: أَنَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا، فَلْيَسْتَوْطِنِ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِنَّهَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ.

الثانية والخمسون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يُذكرُ الله تعالى فيه، كما أخرجنا في «الصحيحين» من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله ملائكةً فضُلا عَنْ كِتَابِ النَّاسِ، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيُخَفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ تَعَالَى - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَحْمِيدًا وَتَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: فَيَقُولُ: مَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فِمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مُحَافَةً. قَالَ: يَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

فهذا من بركته على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]. فهكذا المؤمن مبارك أين حلَّ، والفاجر مشؤوم أين حلَّ. فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكلُّ مضافٍ إلى شَكْلِهِ وَأَشْبَاهِهِ، وكلُّ امرئ يصيرُ إلى ما يناسبه.

الثالثة والخمسون: أن الله عزَّ وجلَّ يباهي بالذاكرين ملائكتَهُ، كما روى مسلمٌ في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري قال: خَرَجَ معاويةٌ على حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى. قَالَ: اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ. قَالُوا: وَاللَّهِ مَا

أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجَلَسْتُكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَنُحَمِّدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: «اللَّهُ مَا أَجَلَسْتُكُمْ إِلَّا ذَاكَ». قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: «أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

فهذه المباهاة من الربِّ تبارك وتعالى دليلٌ على شرفِ الذكرِ عنده، ومحبيته له، وأن له مزيةً على غيره من الأعمالِ.

الرابعة والخمسون: أن مُذْمِنَ الذُّكْرِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: «الَّذِينَ لَا تَزَالُ أَلْسِنَتُهُمْ رَطْبَةً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدْخُلُ أَحَدُهُمُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ».

الخامسة والخمسون: أن جميعَ الأعمالِ إِنَّمَا شُرِعَتْ لِإِقَامَةِ لَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمَقْصُودُ بِهَا تَحْصِيلُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وفي «السنن» عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ، وَبَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى»^(٢) رواه أبو داود والترمذي وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

السادسة والخمسون: أن أفضلَ أهلٍ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَفْضَلُ الصَّوْمِ، أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَوْمِهِمْ، وَأَفْضَلُ الْمُتَصَدِّقِينَ، أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَفْضَلُ الْحَجَّاجِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَعْمَالِ.

وقال عبيد بن عفيف: إِنَّ أَعْظَمَكُمْ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ تَكَابِدُوهُ، وَبَخِلْتُمْ عَلَى الْمَالِ أَنْ

(١) مسلم (٢٧٠١).

(٢) الترمذي (٩٠٢)، وأبو داود (١٨٨٨).

تُنْفِقُوهُ، وَجَبْتُمْ عَنِ الْعَدْوِ أَنْ تُقَاتِلُوهُ، فَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

السابعة والخمسون: أَنْ إِدَامَةَ الذِّكْرِ تَنْوِبُ عَنِ التَّطَوُّعَاتِ، وَتَقُومُ مَقَامَهَا، سَوَاءً كَانَتْ بَدَنِيَّةً، أَوْ مَالِيَّةً، أَوْ بَدَنِيَّةً مَالِيَّةً، كَحَجِّ التَّطَوُّعِ.

وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة: أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلُ أَمْوَالِهِمْ، يَحْجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ. فَقَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكُمْ شَيْئًا تُذَرِّكُونَهُ مِنْ سَبَقِكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا أَحَدٌ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُحَمِّدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ...»^(١) الحديث. متفق عليه.

فجعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر، فلما سمع أهل الدُّثُورِ بذلك عَمِلُوا بِهِ، فَازْدَادُوا - إِلَى صِدْقَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ - بِإِلَافِهِم - التَّعَبُّدَ بِهَذَا الذِّكْرِ، فَحَازُوا الْفَضِيلَتَيْنِ، فَانْفَسَمَ الْفُقَرَاءُ، وَأَخْبَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُمْ قَدْ شَارَكُوهُمْ فِي ذَلِكَ، فَانْفَرَدُوا عَنْهُمْ بِمَا لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ».

الثامنة والخمسون: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى طَاعَتِهِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّهَا إِلَى الْعَبْدِ، وَيُسَهِّلُهَا عَلَيْهِ، وَيَلْدِّذُهَا لَهُ، وَيَجْعَلُ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِيهَا، وَنَعِيمَهُ وَسُرُورَهُ بِهَا، بِحَيْثُ لَا يَجِدُ لَهَا مِنَ الْكُلْفَةِ وَالْمَشَقَّةِ وَالثَّقَلِ مَا يَجِدُ الْغَافِلُ، وَالتَّجَرِبَةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ، تَوْضُّحُهُ.

التاسعة والخمسون: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ، وَيُسِّرُ الْعَسِيرَ، وَيُخَفِّفُ الْمَشَاقَّ، فَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى صَعْبٍ إِلَّا هَانَ، وَلَا عَلَى عَسِيرٍ إِلَّا تيسَّرَ، وَلَا مَشَقَّةٌ إِلَّا خَفَّتْ، وَلَا شِدَّةٌ إِلَّا زَالَتْ، وَلَا كُرْبِيَّةٌ إِلَّا انْفَرَجَتْ، فَاذْكُرْ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْفَرْجُ بَعْدَ الشَّدَّةِ، وَالْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ، وَالْفَرْجُ بَعْدَ الْعَمِّ وَالْهَمِّ، تَوْضُّحُهُ.

الستون: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُذْهِبُ عَنِ الْقَلْبِ خَافَوْهُ كُلَّهَا، وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي

حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتدَّ خوفه أنفع من ذكر الله عزَّ وجلَّ.

الحادية والستون: أن الذكر يُعطي الذَّاكِرَ قوَّةً، حتى إنَّه ليفعلُ مع الذكر ما لا يُطيقُ فعله بدونه.

وقد علَّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًّا رضي الله تعالى عنهما أن يسبِّحا كلَّ ليلة إذا أخذتا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين، ويَحْمَدَا ثلاثاً وثلاثين، ويُكَبِّرَا أربعاً وثلاثين، لَمَّا سألتُهُ الخَادِمَ، وشكَّتْ إليه ما تقاسيه من الطَّحْنِ والسَّعْيِ والخِدْمَةِ، فَعَلَّمَهَا ذلك وَقَالَ: «إِنَّهُ خَيْرٌ لَّكُمَا مِنْ خَادِمٍ».

فقيه: إنَّ مَنْ دَاوَمَ على ذلك وَجَدَ قوَّةً في بدنه مُغْنِيَةً عن خادم.

وكان حبيب بن مسلمة يَسْتَجِبُ إذا لَقِيَ عَدُوًّا، أو نَاهَضَ ^(١) حِصْنًا أن يَقُولَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَإِنَّهُ نَاهَضَ يَوْمًا حِصْنًا لِلرُّومِ، فانهزم، فقلَّها المسلمون وكبرُوا، فانهزمَ الحِصْنُ.

الثانية والستون: أن عَمَّالِ الآخِرَةِ كُلِّهِمْ في مِضْمَارِ السَّابِقِ، والذاكرون هم أَسْبَقُهُمْ في ذلك المِضْمَارِ، ولكن القِتْرَةَ ^(٢) والغبارَ يمنعُ من رؤية سَبْقِهِمْ، فإذا انجلى الغبارُ وانكشف، رآهم الناسُ وقد حازوا قَصَبَ السَّبْقِ.

الثالثة والستون: أن الذكر سببٌ لتصديقِ الرِّبِّ عزَّ وجلَّ عبده، فإنَّه أخبر عن الله تعالى بأوصافٍ كماله ونعوتٍ جلاله، فإذا أخبر بها العبدُ صدَّقه ربُّه، ومن صدَّقه الله تعالى، لم يُخَشَرْ مع الكاذبين، ورُجِيَ له أن يُخَشَرَ مع الصادقين.

رَوَى أَبُو إِسْحَاقَ عن الأَعْرَ أبي مسلم، أَنَّهُ شَهِدَ على أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما أَنَّهُمَا شَهِدَا على رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَخُدِّي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) ناهض: قاوم.

(٢) القتره: الدخان.

الله لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الْأَغْرُ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ: قَالَ: «مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمْسَسْهُ النَّارُ»^(١).

الرابعة والستون: أَنَّ دُورَ الْجَنَّةِ تُبْنَى بِالذِّكْرِ، فَإِذَا أُمْسَكَ الذَّاكِرُ عَنِ الذِّكْرِ، أُمْسَكَتِ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْبِنَاءِ، فَإِذَا أَخَذَ فِي الذِّكْرِ أَخَذُوا فِي الْبِنَاءِ.

وَكَمَا أَنَّ بِنَاءَهَا بِالذِّكْرِ، فَعِرَاسُ بَسَاتِينِهَا بِالذِّكْرِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ السَّمَاءِ، وَأَنَّهُا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

فَالذِّكْرُ غِرَاسُهَا وَبِنَاؤُهَا.

الخامسة والستون: أَنَّ الذِّكْرَ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ جَهَنَّمَ، فَإِذَا كَانَتْ لَهُ إِلَى جَهَنَّمَ طَرِيقٌ مِنْ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، كَانَ الذِّكْرُ سَدًّا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَإِذَا كَانَ ذِكْرًا دَائِمًا كَامِلًا، كَانَ سَدًّا مُحْكَمًا لَا مَنَقَذَ فِيهِ، وَلَا فِجْحَسِيَه.

السادسة والستون: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لِلذَّاكِرِ كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِلتَّائِبِ، كَمَا رَوَى حُسَيْنُ الْمَعْلُومُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: أَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُتَزَّلِ: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: «رَبِّ الْعَالَمِينَ»، وَإِذَا قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ»، وَإِذَا قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ»، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: «وَبِحَمْدِهِ»، وَإِذَا قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ»، وَإِذَا قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، وَإِذَا قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ» قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ».

السابعة والستون: أَنَّ الْجِبَالَ وَالْقَفَارَ تَتَبَاهَى، وَتَسْتَبْشِرُ بِمَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنَّ الجبلَ لينادي الجبلَ باسمِهِ: أَمَرَ بِكَ اليَوْمَ أَحَدٌ يذكُرُ اللهَ عزَّ وجلَّ؟ فإذا قالَ: نعم، استَبَسَّرَ.

الثامنة والستون: أنَّ كثرةَ ذكْرِ الله عزَّ وجلَّ أمانٌ من النفاقِ، فإنَّ المنافقين قليلو الذكرِ لله عزَّ وجلَّ.

قال الله عزَّ وجلَّ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال لعَب: مَنْ أَكْثَرَ ذَكَرَ الله عزَّ وجلَّ بَرِيَ مِنَ النفاقِ.

التاسعة والستون: أنَّ للذكرِ مِنْ بين الأعمالِ لذةٌ لا تُشَبِّهُهَا شَيْءٌ، فلو لم يكن للعبدِ من ثوابِهِ إِلَّا اللَّذَّةُ الحاصلةُ للذاكِرِ، والنعيمُ الذي يحصلُ لقلبه، لكفَى به، ولهذا سُمِّيَتْ مجالسُ الذكرِ رياضَ الجنَّةِ.

قال مالك بن دينار: ما تَلَذَّذَ المتلذِّذونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ، فليس شَيْءٌ من الأعمالِ أخَفَّ مؤونةً مِنْهُ، ولا أعظمَ لَذَّةً ولا أَكْثَرَ فَرْحَةً وابتهاجاً للقلبِ.

السبعون: أَنَّهُ يَكْسُو الوجْهَ نَضْرَةً في الدنيا، ونورًا في الآخرة، فالذاكرون أنضُرُّ الناسَ وجوهًا في الدنيا، وأنورُهم في الآخرة.

الحادية والسبعون: أنَّ في دوامِ الذكرِ في الطريقِ، والبيتِ، والحضرِ، والسفرِ، والبقاء، تَكْثِيرًا لشهودِ العبدِ يومَ القيامةِ، فإنَّ البُقعةَ، والدارَ، والجبلَ، والأرضَ، تشهدُ للذاكِرِ يومَ القيامةِ.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ۖ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٥].

فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ في «جامعِهِ»، من حديثِ سَعِيدِ المقبرِيِّ، عن أَبِي هريرةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا﴾، قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا،

تقول: عَمِلَ يَوْمَ كَذَا، كَذَا وَكَذَا»^(١) قَالَ الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الثانية والسبعون: أَنَّ فِي الاشتغال بالذكرِ اشتغالا عن الكلام الباطل من الغيبة، والنميمة، واللغو، ومدح الناس، وذمهم، وغير ذلك، فَإِنَّ اللسانَ لَا يَسْكُتُ أَلْبَتَّةَ. فإِمَّا لسانٌ ذَاكِرٌ، وَإِمَّا لسانٌ لَاغٌ، وَلَا بَدْءَ مِنْ أَحَدِهِمَا.

الثالثة والسبعون: وهي التي بدأنا بذكرها، وأشرنا إليها إشارة، فنذكرها هاهنا مبسوطاً لعظيم الفائدة بها، وحاجة كلِّ أحدٍ، بل ضرورته إليها، وهي أَنَّ الشياطينَ قد اخْتَوَسَتْ^(٢) العبدَ وهم أعداؤه، فما ظَنُّكَ بِرَجُلٍ قد اخْتَوَسَهُ أعداؤه الْمُخْنِقُونَ^(٣) عليه غيظاً، وأحاطوا به، وكلُّ منهم يناله بما يقدرُ عليه من الشرِّ والأذى، ولا سبيلَ إلى تفريق جمعهم عنه إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وفي الترمذي عن أنس بن مالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ - يعني إذا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ - بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالَ لَهُ: كُفِّتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ لِشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِّي وَوُقِيَ»^(٤)؟ رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن.

وقد تقدَّم قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمِيتَ»^(٥).

وفي «صحيح البخاري»، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قَالَ: وَلَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَةَ رَمَضَانَ أَنْ أُحْفَظَ بِهَا، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي لَا أَعُودُ... فذكر الحديث، وَقَالَ: فَقَالَ لَهُ فِي الثَّالِثَةِ: أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ: إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ

(١) الترمذي (٢٤٢٩)، (٣٣٥٣).

(٢) اختوسَّت العبد: جعلوه وسطهم وأحاطوا به.

(٣) المخنقون: الحاقدون.

(٤) الترمذي (٣٤٢٦)، وأبو داود (٥٠٩٥).

(٥) البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

حافظ، ولا يقرّبك شيطانٌ حتى تصبح، فخلّى سبيلَهُ، فأصبح فأخبرَ النبي ﷺ بقوله، فقال: «صَدَقَكَ، وهو كذوبٌ»^(١).

وفي «الصحيحين»: عن ابن عباسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَيُولَدُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَا يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»^(٢).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصحيحين» أَنَّ الشَّيْطَانَ يَهْرُبُ مِنَ الْأَذَانِ.

وفي رواية: «إِذَا سَمِعَ النَّدَاءَ وَلَّى وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ...»^(٣) الحديث.

ولنذكر فصولاً نافعةً تتعلقُ بالذكرِ تكميلاً للفائدة:



(١) البخاري (٢٣١١، ٣٢٧٥، ٥٠١٠) معلقاً.

(٢) البخاري (٣٢٧١)، ومسلم (١٤٣٤).

(٣) البخاري (٦٠٨، ١٢٣١)، ومسلم (٣٨٩).

الفصل الأول

[أنواع الذكر]

الذكر نوعان :

أحدهما: ذكُرُ أسماءِ الرَّبِّ تبارك وتعالى وصفاته، والثناءُ عليه بهما، وتنزيهُهُ وتقديسُهُ عما لا يليقُ به تبارك وتعالى، وهذا أيضًا نوعان :

أحدهما: إنشاءُ الثناءِ عليه بها من الذاكر، وهذا النوعُ هو المذكورُ في الأحاديثِ، نحو: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، و«سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»، و«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، ونحو ذلك، فأفضلُ هذا النوعِ، أجمعُهُ للثناءِ، وأعمُّهُ نحو: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ» فهذا أفضلُ من مجردِ «سُبْحَانَ اللَّهِ»، وفي حديثِ جُويريةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لها: «لَقَدْ قُلْتُ بِعْدَكَ أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَضِيَ نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١) رواه مسلم.

وفي الترمذي و«سنن أبي داود»، عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاصٍ أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ بَيْنَ يَدَيْهَا نَوَى أَوْ حَصَى تُسَبِّحُ بِهِ فَقَالَ: «أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا أَوْ أَفْضَلُ» فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ»^(٢).

النوع الثاني: الخبرُ عن الرَّبِّ تبارك وتعالى بأحكامِ أسمائه وصفاته، نحو قولك: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْمَعُ أَصْوَاتَ عِبَادِهِ، وَيَرَى حَرَكَاتِهِمْ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ

(١) مسلم (٢٧٢٦).

(٢) الترمذي (٣٥٦٨)، وأبوداود (١٥٠٠).

أرحمُ بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كلِّ شيء قديرٌ، وهو أفرحُ بتوبة عبده من الفاقِدِ راحلته الواجدِ، ونحو ذلك.

وأفضلُ هذا النوع: الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى به عليه رسولُ الله ﷺ من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غيرِ تشبيهٍ ولا تمثيلٍ.

وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع: حمدٌ، وثناءٌ، ومجْدٌ.

فالحمدُ لله: الإخبارُ عنه بصفاتِ كماله سبحانه وتعالى، مع محبته والرضى به، فلا يكونُ المحبُّ الساكِتُ حامداً، ولا المثني عليه بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبةُ والثناءُ، فإن كرَّرَ الحامدُ شيئاً بعد شيءٍ كانت ثناءً، فإن كان المدحُ بصفاتِ الجلالِ والعظمة والكبرياءِ والمملكِ كان مجداً.

وقد جمَعَ الله تعالى لعبده الأنواعَ الثلاثةَ في أولِ سورة فاتحة الكتاب، فإذا قالَ العبدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله: حَمَدَنِي عَبْدِي، وإذا قالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قال: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قالَ: «مَجَّدَنِي عَبْدِي».

والنوعُ الثاني: من الذِّكْرِ: ذِكْرُ أمرِهِ ونهْيِهِ وأحكامِهِ.

وهو أيضاً نوعان:

أحدهما: ذكْرُه بذلك إخباراً عنه بأنه أمرٌ بكذا، ونهى عن كذا، وأحبُّ كذا، وسَخَطَ كذا، ورَضِيَ كذا.

والثاني: ذكْرُه عند أمره، فيبادرُ إليه، وعند نهيه فيهربُ منه، فذكرُ أمرِهِ ونهْيِهِ شيءٌ، وذكرُ أمرِهِ ونهْيِهِ شيءٌ آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواعُ للذاكرِ فذكرُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ وأجْلُهُ وأعظمُهُ فائدةً.

فهذا الذِّكْرُ من الفقهِ الأكبر، وما دونه من أَفْضَلِ الذِّكْرِ إذا صحَّت فيه النيةُ.

ومن ذكره سبحانه وتعالى: ذِكْرُ آلائِهِ وإنعامِهِ وإحسانِهِ وأياديه، ومواقعِ فضله على عبده، وهذا أيضاً من أَجَلِّ أنواعِ الذِّكْرِ.

فهذه خمسة أنواع:

وهي تكون بالقلب واللسان تارةً، وذلك أفضل الذكر.

وبالقلب وحده تارةً، وهي الدرجة الثانية.

وباللسان وحده تارةً، وهي الدرجة الثالثة.

فأفضل الذكر: ما تَوَاطَأَ عليه القلبُ واللسانُ. وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأنَّ ذكر القلب يُثْمِرُ المعرفةَ وَيَهْبِجُ المحبَّةَ، وَيُثِيرُ الحياءَ، وَيَنْعَثُ على المخافةِ، ويدعو إلى المراقبةِ، ويزعُ عن التقصيرِ^(١) في الطاعات، والتهاونِ في المعاصي والسيئات، وذكرُ اللسان وحده لا يُوجِبُ شيئاً من ذلك الإثمارِ، وإنْ أثمرَ شيئاً منها، فثمرَةٌ ضعيفةٌ.



(١) يزعُ عن التقصير: يكفّ ويمنع عنه.

الفصل الثاني

[الذكر أفضل من الدعاء]

الذكر أفضل من الدعاء؛ لأنَّ الذكر ثناءٌ على الله عزَّ وجلَّ بجميلِ أوصافِهِ وآلَايِهِ وأَسْمَائِهِ، والدعاء سؤالُ العبد حاجتَهُ، فأين هذا من هذا؟

ولهذا كان المستحبُّ في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمدِ الله تعالى، والثناءِ عليه ويصليَّ على النبيِّ ﷺ بين يدي حاجتِهِ، ثم يسأل حاجتَهُ، كما في حديث فضالة بن عبيد، أنَّ رسولَ الله ﷺ سمِعَ رجلاً يدعو في صلاتِهِ لم يحمِدِ الله تعالى ولم يصلِّ على النبيِّ ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد عَجَلْ هذا» ثم دعاه فقال له أو لغيره: «إِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ فَلْيُبَيِّدْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ والثناءِ عليه، ثم يصلِّ على النبيِّ ﷺ، ثم يدعو بعدُ بما شاء»^(١) رواه الإمام أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم في «صحيحه».

وهكذا دعاءُ ذي النون عليه السلام الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «دَعْوَةُ أَخِي ذِي النون، ما دعا بها مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ كُرْبَتَهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. وفي الترمذي: دَعْوَةُ أَخِي ذِي النون إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»^(٢).

وهكذا عامةُ الأدعيةِ النبويةِ على قائلها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ.

ومنه قوله ﷺ في دعاءِ الكربِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ»^(٣).

ومنه حديثُ بَرِيذَةَ الأَسْلَمِيَّةِ الذي رواه أهلُ السننِ، وابنُ حِبَّانَ في «صحيحهِ»: أنَّ

(١) أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، والنسائي (١٢٨٤).

(٢) الترمذي (٣٥٠٥).

(٣) البخاري (٦٣٤٦، ٧٤٣١)، ومسلم (٢٧٣٠).

رسول الله ﷺ سَمِعَ رجلاً يدعو وهو يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، السَّمَانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٢).

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الدُّعَاءَ يُسْتَجَابُ إِذَا تَقَدَّمَ هَذَا الثَّنَاءُ وَالذِّكْرُ، وَأَنَّهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، فَكَانَ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَثَنًا عَلَيْهِ أَنْجَحَ مَا طَلَبَ بِهِ الْعَبْدُ حَوَائِجَهُ.

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجاباً.

فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته، وافتقاره واعترافه، كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد تَوَسَّلَ إلى المدعوِّ بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعَرَضَ بِلِ صَرَحَ بِشِدَّةِ حَاجَتِهِ وَضُرُورَتِهِ وَفَقْرِهِ وَمَسْكَنَتِهِ، فبهذا المقتضى منه، وأوصافُ المسؤولِ مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل، والمقتضى من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغ وألطف موقعاً، وأتم معرفةً وعبوديةً.

فإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَتَأَمَّلْ قَوْلَ مُوسَى ﷺ فِي دَعَائِهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَتَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] وَقَوْلَ ذِي النُّونِ ﷺ فِي دَعَائِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وَقَوْلَ آدَمَ ﷺ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَكُم تَغْفِرُ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وفي «الصحيحين»: أَنَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَّمَنِي

(١) أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥).

(٢) أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي (١٣٠٠).

دعاء أدعُو به في صلاتي، فقال قل: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١).

فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدير، بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربه عزَّ وجلَّ بفضله وجوده، وأنه المنفردُ بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معاً، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية.



(١) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

الفصل الثالث

[قراءة القرآن أفضل من الذكر]

قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، هذا من حيث النظر إلى كل منهما مجزأً.

وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يُعَيِّنُهُ، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتمسك في الركوع والسجود، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيها، بل القراءة فيها منهي عنها نهي تحريم أو كراهة، وكذلك التسميع والتحميد في محلها أفضل من القراءة، وكذلك التشهد، وكذلك: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي» بين السجدين أفضل من القراءة، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة - ذكر التهليل، والتمسيع، والتكبير، والتحميد - أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابة المؤذن، والقول كما يقول أفضل من القراءة، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقالُه فيه وعدل عنه إلى غيره، اختلَّت الحكمة، وفاتت المصلحة المطلوبة منه.

وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن. مثاله: أن يتفكر في ذنوبه، فيحدث ذلك له توبة واستغفاراً، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تُحصِّنه وتحوطه.

وهذا بابٌ نافعٌ يحتاج إلى فقه نفس، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطى كل ذي حق حقه، ويوضع كل شيء موضعه.

وقلتُ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوماً: سئل بعض أهل العلم: أيما أنفع للعبد، التسميع أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًا، فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دَسًا فالصابون والماء الحار أنفع له. فقال لي رحمه الله تعالى: فكيف واليابس

لا تزال دَنَسَةً^(١)؟

ولما كانت الصلاةُ مشتملةً على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعةٌ لأجزاء العبودية على أتمِّ الوجوه، كانت أفضلُّ من كلِّ؛ من القراءة والذكر والدعاء بمفرده، لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

فهذا أصلٌ نافع جدًّا، يفتح للعبد بابَ معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها، فيربح إبليس الفضل الذي بينهما، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وإن كان ذلك في وقته، فتفوته مصلحته بالكلية، لظنه أنَّ اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا.



(١) أي أن الاستغفار أفضل لمن ابتلي بالمعاصي والمخالفات.

الفصل الرابع

في الأذكارِ المَوْظَّعةِ التي لا ينبغي للعبد أن يخل بها لشدة الحاجة إليها،

وعِظَمِ الانتفاع في الأجلِ والعاجلِ بها

في ذكرِ طَرَفِي النهارِ وهما ما بين الصبحِ وطلوعِ الشمسِ، وما بين العصرِ والغروبِ.
قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] والأصيل: قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هو الوقتُ بعدَ العصرِ إلى المغربِ وجمعه: أَصْلٌ وَأَصَالٌ.

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] فالإبكارُ: أولُ النهارِ، والعِشِيُّ: آخرُهُ، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، وهذا تفسيرُ ما جاء في الأحاديثِ أن: مَنْ قال كذا وكذا حين يُصْبِحُ وحين يُمَسِّي، أن المراد به: قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها، وأنَّ محلَّ هذه الأذكارِ بعدَ الصبحِ وبعدَ العصرِ.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مائةَ مرةٍ، لم يأتِ أحدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أُحْدِثَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(١).

وفي «صحيحه» أيضًا عن ابن مسعود قال: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ

الملك لله»^(١).

وفي «السنن» عن عبد الله بن خبيب قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَيْنِ، حِينَ تُمَسِّي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٢). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي الترمذي أيضا: عن أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ، يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^(٣)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي «صحيح البخاري» عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمَسِّي، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٤).

وفي الترمذي عن أبي هريرة: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ: قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّ كَيْهِ، وَأَنْ نَقَرَفَ سُوءًا عَلَى أَنْفُسِنَا أَوْ نَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ. قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»^(٥). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي الترمذي أيضًا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا

(١) مسلم (٢٧٢٣).

(٢) الترمذي (٣٥٧٥)، وأبو داود (٥٠٨٢).

(٣) الترمذي (٣٣٩١)، وأبو داود (٥٠٦٨)، وابن ماجه (٣٨٦٨).

(٤) البخاري (٦٣٠٦).

(٥) الترمذي (٣٣٩٢)، وأبو داود (٥٠٦٧).

مَنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ^(١). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

«وفيه» أيضًا عن ثوبان وغيره، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي وَإِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرَضِّيَهُ»^(٢)، وقال حديث حسن صحيح.

وفي «السنن» أبي داود عن عبد الله بن غنم، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحَدَّكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ»^(٣).

وفي «السنن» و«صحيح الحاكم» عن عبد الله بن عمر قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(٤)، قال وكيع: يعني الخسف.



(١) الترمذي (٣٣٨٨)، وأبو داود (٥٠٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩).

(٢) الترمذي (٣٣٨٩)، وأبو داود (٥٠٧٢)، وابن ماجه (٣٨٧٠).

(٣) أبو داود (٥٠٧٣).

(٤) أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١).

في أذكار النوم

في «الصحيحين» عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «باسمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وإذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النُّشُورُ»^(١).

وفي «الصحيحين» أيضًا، عن عائشة، أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلة، جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا يَفْرَأُ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يَمْسَحُ بِهِمَا ما اسْتَطَاعَ من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبلَ من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرَّات^(٢).

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة أنه أتاه آت يَحْتُو من الصَّدَقَةِ، وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسول الله ﷺ قال: دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال: إذا أويتَ إلى فراشِكَ فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى ختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربُكَ شيطانٌ حتى تُصْبِحَ. فقال النبي ﷺ: «صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ»^(٣).

وفي «الصحيحين» عن أبي مسعود الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفَّتَاهُ»^(٤).

الصحيح: أن معناها: كفتاه من شرِّ ما يؤذيه.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ

(١) البخاري (٦٣١٤)، (٦٣٢٤)، ومسلم (٢٧١١).

(٢) البخاري (٥٠١٨).

(٣) تقدم تخريجه وهو في البخاري معلقًا.

(٤) البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨).

فراشه، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنْفَةِ إِزَارِهِ^(١) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَذْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، وَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَصَعْتُ جَنِّي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَارْزُقْهَا، وَإِنْ أَرْسَلَتْهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ^(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَّنَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِي»^(٣).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مَنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(٤).

وفي «الصحيحين» عن البراء بن عازب قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَقَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مَنَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ»^(٥).



(١) صنفه إزاره: طرفه.

(٢) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

(٣) مسلم (٢٧١٥).

(٤) مسلم (٢٧١٣).

(٥) البخاري (٦٣١٣)، ومسلم (٢٧١٠).

في أذكار الانتباه من النوم

رَوَى البخاريُّ في «صحيحه» عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ^(١) فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٢).

وفي الترمذي عن أبي أمامة قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا، وَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى يُذَكِّرَهُ النَّعَاسُ، لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا خَيْرًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٣) حديث حسن.



في أذكار الفزع في النوم والقلق

وفي «سنن أبي داود» والترمذي عن عبد الله بن عمرو: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَعْلَمُهُمْ مِنَ الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَخْضُرُونِ»^(٤).



في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها

في «الصحيحين» عن أبي قتادة قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِذَا اسْتَيْقَظَ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٥).

(١) تعارَّ من الليل: قلب على فراشه وانتبه من نومه.

(٢) البخاري (١١٥٤).

(٣) الترمذي (٣٥٢٦).

(٤) الترمذي (٣٥٢٨)، وأبو داود (٣٨٩٣).

(٥) البخاري (٣٢٩٢، ٦٩٨٦، ٧٠٠٥)، ومسلم (٢٢٦١).

قال أبو قتادة: كنت أرى الرؤيا تمرُّصني، حتى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحبُّ فلا يحدث به إلا من يحبُّ، وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به، وليستقل عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن شرِّ ما رأى، فإنها لا تضرُّه»^(١).

وفي «صحيح مسلم» عن جابر، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره ثلاث مرَّات، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليستحوذ عن جنبه الذي كان عليه»^(٢).



في أذكار الخروج من المنزل

في «السنن» عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ - يعني إذا خرج من بيته - بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالَ لَهُ: كُفِّتْ وَهُدِيتْ وَوُقِّيتْ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ، فيقولُ لَشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ كُفِّي وَهُدِيَ وَوُقِّي؟»^(٣).

وفي السنن الأربع، عن أم سلمة قالت: ما خرج رسولُ الله ﷺ من بيته إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أَضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»^(٤). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.



في أذكار دخول المنزل

في «صحيح مسلم» عن جابر، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجلُ

(١) البخاري (٧٠٤٤)، ومسلم (٢٢٦١).

(٢) مسلم (٢٢٦٢).

(٣) الترمذي (٣٤٢٦)، وأبو داود (٥٠٩٥).

(٤) الترمذي (٣٤٢٧)، وأبو داود (٥٠٩٤)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٨٤).

بيته، فذكر الله تعالى عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»^(١).

وفي الترمذي عن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَهً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»^(٢). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.



في أذكار دخول المسجد والخروج منه

في «صحيح مسلم»، عن أبي حميد، أو أبي أسيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(٣).

وفي «سنن أبي داود»، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» قال: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ^(٤).



في أذكار الأذان

في «الصحيحين» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النَّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ»^(٥).

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا

(١) مسلم (٢٠١٨).

(٢) الترمذي (٢٦٩٨).

(٣) مسلم (٧١٣).

(٤) أبو داود (٤٦٦).

(٥) البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣).

سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ: ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(١).

وفي «صحيح مسلم» عن عمر بن الخطاب قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

وفي «صحيح البخاري» عن جابر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مُحَمَّدًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وفي الترمذي عن أنسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»، قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»^(٤). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وعن سعد بن أبي وقاصٍ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ»^(٥) رواه مسلم.

فهذه خمسُ سننٍ في الأذان: إجابته، وقول: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) مسلم (٣٨٥).

(٣) البخاري (٦١٤).

(٤) الترمذي (٣٥٩٤، ٣٥٩٥)، وأبو داود (٥٢١).

(٥) مسلم (٣٨٦).

وبمحمّد ﷺ رسولاً حينَ يَسْمَعُ التشهّدَ، وسؤالُ الله تعالى لرسوله ﷺ الوَسِيلَةَ والفضيلةَ، والصلاةُ عليه ﷺ، والدعاءُ لنفسِهِ ما شاء.



في أذكار الاستفتاح

في «الصحيحين» أن النبي ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي اسْتِفْتَاِحِهِ: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي بِالْمَاءِ وَالتَّلَجِ وَالْبَرْدِ»^(١).

وفي «السنن الأربعة»، عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما، أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُ عَنِّي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٣).

وفي «الصحيحين»: عن ابن عباسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ

(١) البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

(٢) الترمذي (٢٤٢، ٢٤٣)، وأبو داود (٧٧٥، ٥٥٦)، والنسائي (٩٠٠)، وابن ماجه (٨٠٤).

(٣) مسلم (٣٩٩).

والأرضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَ مُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).



في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدين

في «السنن الأربعة» عن حذيفة رضي الله تعالى عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَكَعَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٢).

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٣).

وفي «صحيح مسلم» عنها رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٤).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي سعيد رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٥).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ

(١) البخاري (١١٢٠، ٦٣١٧، ٧٤٤٢)، ومسلم (٧٦٩).

(٢) الترمذي (٢٦٢)، وأبوداود (٨٧١)، وابن ماجه (٨٨٨).

(٣) البخاري (٧٩٤، ٨١٧، ٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٤) مسلم (٤٨٧).

(٥) مسلم (٤٧٧).

من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء»^(١).

وعنه رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»^(٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها: افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٣). روى مسلم هذه الأحاديث.

وفي «سنن أبي داود» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدةين: «اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، واجبرني، وعافني، وارزقني»^(٤).



في أدعية الصلاة وبعد التشهد

في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٥).

وقد تقدم في «الصحيحين»، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: عَلَّمَنِي دَعَاءَ أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، فَقَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارحمني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٦).

(١) مسلم (٤٨٢).

(٢) مسلم (٤٨٣).

(٣) مسلم (٤٨٦).

(٤) أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤).

(٥) البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٦) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

وفي «صحيح مسلم» من حديث علي رضي الله عنه في صفة صلاة رسول الله ﷺ أنه كَانَ يَقُولُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ الشَّهَادَةِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

وفي «سنن أبي داود» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَّا إِنِّي لَا أَحْسِنُ دُنْدَنْتَكَ وَلَا دُنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا تُدْنِدُنْ»^(٢).

وفي «سنن النسائي»: أَنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ صَلَّى صَلَاةً، وَدَعَا فِيهَا بِدَعَوَاتٍ وَقَالَ: سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبَنِي إِذَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَى، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَى بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^(٣).



في الأذكار المشروعة بعد السلام، وهو إدبار السجود

في «صحيح مسلم» عن ثوبان رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٤).

(١) مسلم (٧٧١).

(٢) أبو داود (٧٩٢)، وابن ماجه (٩١٠).

(٣) النسائي (١٣٠٥).

(٤) مسلم (٥٩١).

وفي «الصحيحين» عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»^(١).

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يُهَلِّل دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ حين يُسَلِّمُ بهؤلاء الكلمات: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»^(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَبَّحَ الله في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وكَبَّرَ الله ثلاثاً وثلاثين، وحَمِدَ الله ثلاثاً وثلاثين، وَقَالَ تَمَامَ المائَةِ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وإنْ كانتِ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»^(٣).

وفي «السُّنَنِ» عن عُقْبَةَ بْنِ عامِرٍ قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوَّذَتَيْنِ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ»^(٤).

وفي «النسائي الكبير» عن أبي أمامة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ عَقِبَ كُلِّ صلاةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»^(٥)، يعني لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت.



(١) البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) مسلم (٥٩٤).

(٣) مسلم (٥٩٧).

(٤) الترمذي (٢٩٠٣)، وأبو داود (١٥٢٣)، والنسائي (١٣٣٦).

(٥) النسائي في الكبرى (٩٩٢٨).

في ذكر التشهد

بُتَّ في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود قال: علّمني رسول الله ﷺ التشهد - وكفّي بين كفّيه - كما يُعلّمني سورة من القرآن: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(١).

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُعلّمنا التشهد كما يُعلّمنا السورة من القرآن، وكان يقول: «التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، وَالصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»^(٢).

وفي «صحيح مسلم»، عن أبي موسى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهُمُ التَّشْهَدَ: «التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٣).

فأيّ تشهد أتى به من هذه الشهادات أجزأه.



في ذكر الصلاة على النبي ﷺ

في «الصحيحين» عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال: خرّج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله قد عرفنا كيف نُسلّم عليك، فكيف نُصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ

(١) البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) مسلم (٤٠٣).

(٣) مسلم (٤٠٤).

مجيد^(١).

وفي «الصحيحين» أيضًا: عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نُصَلِّي عليك؟ قال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ»^(٢).



في ذكر الاستخارة

في «صحيح البخاري» عن جابر قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأَمْرِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»^(٣).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول: مَا نَدِمَ مَنْ اسْتَخَارَ الْخَالِقَ، وَشَاوَرَ الْمَخْلُوقِينَ، وَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ. وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ط فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال قتادة: مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ يَنْتَعُونَ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا هُدُوا إِلَى أَرْشِدٍ أَمْرِهِمْ.



(١) البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٢) البخاري (٣٣٦٩، ٦٣٦٠)، ومسلم (٤٠٧).

(٣) البخاري (١١٦٦، ٦٣٨٢).

في أذكار الكرب والغم والحزن والهم

في «الصحيحين»: عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات، وربُّ الأرض، وربُّ العرش الكريم»^(١).

وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «يا حيُّ يا قيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»^(٢).

وفي «سنن أبي داود» عن أبي بكرة، أن رسول الله ﷺ قال: «دَعَاْتُ الْمَكْرُوبَ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٣).

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾» [الأنبياء: ٨٧] لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيء قط، إلا استُجيبَ له»^(٤).

وفي رواية له: «إني لأعلمُ كلمةً لا يقولها مكروبٌ إلا فرَّجَ الله عنه، كلمة أخِي يُونسَ عليه السلام»^(٥).

وفي «مسند الإمام أحمد» و«صحيح ابن حبان» عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «مَا أَصَابَ عَبْدًا هُمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدُلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ

(١) البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) الترمذي (٣٥٢٤).

(٣) أبو داود (٥٠٩٠).

(٤) الترمذي (٣٥٠٥).

(٥) ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٢). وأبو يعلى في «المعجم» (٢٥٨).

تَجْعَلُ الْقُرْآنَ رِبْعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ قَرَحًا^(١).



في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضييق والأذى

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجْهَيْكُمْ لِكُمْ أَنْ تَبْرَحُوا ﴿٣﴾ فَبَدَلُوا ﴿٤﴾ وَتَوَلَّوْا ﴿٥﴾ وَتَوَلَّوْا ﴿٦﴾ وَتَوَلَّوْا ﴿٧﴾ وَتَوَلَّوْا ﴿٨﴾ وَتَوَلَّوْا ﴿٩﴾ وَتَوَلَّوْا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

عن ابن عباس: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ قَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»^(٢).



في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف من سلطان وغيره

في «سنن أبي داود» و«النسائي»، عن أبي موسى الأشعري، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»^(٣).
وَيُذَكِّرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضْدِي وَأَنْتَ نَاصِرِي وَبِكَ أَقَاتِلُ»^(٤).

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس قَالَ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ النَّاسُ: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾^(٥) [آل عمران: ١٧٣].

(١) أحمد (١/٣٩١، ٤٥٢).

(٢) أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩).

(٣) أبو داود (١٥٣٧)، وأحمد (٤/٤١٤).

(٤) أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وأحمد (٣/٣٨٤).

(٥) البخاري (٤٥٦٣).

في الأذكار التي تطرد الشيطان

قد تقدّم أن من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربهُ شيطانٌ، وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه، ومن قال في يوم مائة مرة: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له جزاء من الشيطان يومه كله^(١).

وقد قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (١) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿المؤمنون: ٩٧-٩٨﴾.

وكان النبي ﷺ يقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»^(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرِيعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

والأذان يطرد الشيطان كما تقدّم.

وفي «صحيح مسلم» عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يُقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً» ففعلت ذلك، فأذهبهُ الله عز وجل عني^(٣).

ومن أعظم ما يندفع به شره بقراءة المعوذتين، وأول الصافات وآخر الحشر.



(١) تقدم تخریج ذلك كله.

(٢) الترمذي (٢٤٢)، وأبوداود (٧٧٥)، وأحمد (٥٠/٣).

(٣) مسلم (٢٢٠٣).

في الذكر الذي تحفظ به النعم، وما يقال عند تجددِها

قال الله سبحانه وتعالى في قصة الرجلين: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. فينبغي لمن دخل بستانه، أو داره، أو رأى في ماله وأهله ما عَجِبَهُ أَنْ يُبَادِرَ إلى هذه الكلمة، فإنه لا يرى فيه سوءاً.



في الذكر عند المصيبة

قال الله تعالى: ﴿وَنَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ [الزُّن] إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وقالت أم سلمة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قالت: فَلَمَّا تَوَفَّى أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١).

وَرُوِيَ أَيْضًا عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصْرُهُ^(٢)، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ» ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمُهْدِينَ، وَأَخْلِفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّزْ لَهُ فِيهِ»^(٣).



(١) مسلم (٩١٨).

(٢) شق بصره: انفتح وشخص نحو شيء معين.

(٣) مسلم (٩٢٠).

في الذكر الذي يدفع به الدين ويرجى قضاؤه

في الترمذي عن علي رضي الله عنه، أن مكاتبا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني، فقال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً إلا أداه الله عنك، قل: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»^(١) قال الترمذي: حديث حسن.



في الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما

في «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُعوذُ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: «إن أباكما كان يُعوذُ بها إسماعيل وإسحاق: أعيدُكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»^(٢).

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رقى لديعاً بفاتحة الكتاب، فجعل يتقل عليه ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فكانها تَشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبه^(٣).

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاءك، شفاء لا يُغادر سقماً»^(٤).

وفي «صحيح مسلم» عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أنه شكاً إلى رسول الله ﷺ وجعاً مجده في جسده منذ أسلم، فقال النبي ﷺ: «ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بِسْمِ اللَّهِ - ثلاثاً - وقل سبع مرات: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ

(١) الترمذي (٣٥٦٣)، وأحمد (١/١٥٣).

(٢) البخاري (٣٣٧١).

(٣) البخاري (٢٢٧٦، ٥٧٤٩)، ومسلم (٢٢٠١)، ومعنى قلبه: ألم ووجع.

(٤) البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

وأحاذر^(١).

وفي «السنن» عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَخْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى»^(٢).



في ذكر دخول المقابر

في «صحيح مسلم» عن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْنِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»^(٣).



في ذكر الاستسقاء

قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١١].

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ بَوَاكٍ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا مَرِيئًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ» فَأُطْبِقَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ^(٤).

وفي «سنن أبي داود» عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَانْثُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»^(٥).



(١) مسلم (٢٢٠٢).

(٢) أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٤)، وأحمد (٢٣٩/١)، (٢٤٢).

(٣) مسلم (٩٧٥).

(٤) أبو داود (١١٦٩).

(٥) أبو داود (١١٧٦).

في أذكّار الريح إذا هاجت

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»^(١).

وفي «سنن أبي داود» عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي أَفْقِ السَّمَاءِ تَرَكَ الْعَمَلَ، وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا» فَإِنْ أَمْطَرَتْ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا»^(٢).



في الذكر عند الرعد

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ.



في الذكر عند نزول الغيث

فِي «الصَّحِيحِينَ» عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ^(٣) كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكَوَاعِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِتَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاعِبِ»^(٤).

وقد قيل: «إِنَّ الدُّعَاءَ عِنْدَ نَزُولِ الْغَيْثِ مُسْتَجَابٌ».

(١) أبو داود (٥٠٩٩)، وابن ماجه (٣٨٨٩)، وأحد (٦/ ١٩٠).

(٢) صيبًا هنيئًا: منهمرًا نافعًا.

(٣) سماء: مطر.

(٤) البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١).

وفي «صحيح البخاري» عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: «صَيِّبًا نَافِعًا»^(١).

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطَرٌ، فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّي»^(٢).



في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها

في «الصحيحين» عن أَنَسٍ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثَنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا» قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ^(٣)، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ^(٤) مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلَ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءُ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ امْطَرَتْ، فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمَقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا عَنَّا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالِنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْأَكَامِ^(٥) وَالظَّرَابِ^(٦)، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ^(٧).



(١) البخاري (١٠٣٢).

(٢) مسلم (٨٩٨).

(٣) قزعة: قطعة السحاب.

(٤) سلع: جبل بقرب المدينة.

(٥) الأكام: جمع أكمة وهي التل الذي هو دون الجبل.

(٦) الظراب: جمع ظرب وهي الروابي الصغار.

(٧) البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

في الذكر عند رؤية الهلال

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، رَبَّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ» (١).



في الذكر للصائم وعند فطره

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ» (٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.



في أذكار السفر

كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا: اذْنُ مِنِّي أَوْدَعَكَ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُودِّعُنَا، فيقول: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» (٣).

ومن وجه آخر: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلَا يَدْعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدْعُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ (٤) ... وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ. قَالَ الترمذي: حديث حسن.

وَقَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: «زَوِّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «وَعَفَرَ ذَنْبَكَ»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «وَيَسِّرْ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ» (٥) قَالَ الترمذي هذا: حديث حسن.

(١) الدارمي (١٦٨٧)، والحاكم (٣١٧/٤).

(٢) الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢).

(٣) أبوداود (٢٦٠٠)، والترمذي (٣٤٤٢)، وابن ماجه (٢٨٢٦).

(٤) الترمذي (٣٤٤٢).

(٥) الترمذي (٣٤٤٤).

وعن أبي هريرة أَنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسَافِرَ فَأَوْصِنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ»^(١)، فَلَمَّا وَلِيَ الرَّجُلُ قَالَ: «اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الْبُعْدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ»^(٢) قَالَ الترمذي: حديث حسن.



في ركوب الدابة والذكر عنده

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ»، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ^(٣)، وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ^(٤)، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعَ فَاهْتَنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيُونَ، نَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لَرَبَّنَا حَامِدُونَ»^(٥).

وفي وجه آخر: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا عَلَوْا الثَّنَائِيَا^(٦) كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا^(٧).



في ذكر الرجوع من السفر

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنْ حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ غَزْوٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

(١) شرف: المكان المرتفع.

(٢) الترمذي (٣٤٤٥).

(٣) وعثاء السفر: مشقته وشدته.

(٤) كآبة المنظر: قبحه.

(٥) مسلم (١٣٤٢).

(٦) الثنانيا: جمع ثنية وهي الطرق العالية.

(٧) أبو داود (٢٥٩٩).

لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيُّونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»^(١). رواه البخاري ومسلم.



في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عن صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا يَرِ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا ذَرَيْنِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا»^(٢). رواه النسائي.



في ذكر المنزل يريد نزوله

قَالَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»^(٣). رواه مسلم.



في ذكر الطعام والشراب

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْذِّبْنَ ءَامِنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بُنَيَّ، سَمَّ اللَّهُ

(١) البخاري (٦٣٨٥)، ومسلم (١٣٤٤).

(٢) النسائي في الكبرى (٨٨٢٦، ٨٨٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٥٢/٥)، والطبراني في الكبير (٧١٤٦).

(٣) مسلم (٢٧٠٨).

تعالى، وَكُلِّ بِمِمينِكَ، وَكُلِّ مِمَّا يَلِيكَ»^(١) متفق عليه.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ»^(٢)، قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيُشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا»^(٣). رواه مسلمٌ في «صحيحه» من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه.

وعن معاذِ بنِ أنسٍ الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤)، قال الترمذي حديثٌ حسنٌ.

وذكر النسائي عن رجلٍ خَدَمَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ» وَإِذَا قَرَعَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ»^(٥)، وَهَدَيْتَ وَأَخْيَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أُعْطِيتَ»^(٦).

وفي «صحيح البخاري» عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَوْدِعٍ وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ رَبَّنَا»^(٧).



(١) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٢) أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٧٥٧).

(٣) مسلم (٢٧٣٤).

(٤) أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥).

(٥) أقنيت: حفظت.

(٦) أحمد (٤/٦٢، ٣٣٧)، والنسائي في الكبرى (٦٨٩٨).

(٧) البخاري (٥٤٥٨).

في ذكر الضيف إذا نزل بقوم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً^(١)، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى. ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاولَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ: فَقَالَ أَبِي - وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ -: ادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»^(٢) رواه مسلم.

وعن أنس: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْطَرْتُ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلْتُ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ»^(٣) رواه أبو داود.



في السلام

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٤) متفق عليه.

وقال أبو هريرة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٥) رواه أبو داود.

وَقَالَ أَنَسُ: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى صَبِيَّانٍ يَلْعَبُونَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا»^(٦). حديث صحيح.

وقال أبو هريرة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيَسَلِّمْ، فَإِنْ

(١) الوطبة: طعام يجمع فيه بين التمر والأقط والسمن وهو الخيس.

(٢) مسلم (٢٠٤٢).

(٣) أبو داود (٣٨٥٤)، وأحمد (١٣٨/٣).

(٤) البخاري (١٢، ٢٨، ٦٢٣٦)، ومسلم (٣٩).

(٥) مسلم (٥٤)، وأبو داود واللفظ له (٥١٩٣).

(٦) البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ»^(١) قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ.



فِي الذِّكْرِ عِنْدَ الْعُطَاسِ

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ، كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعُهُ أَنْ يَقُولَ: يَرْحَمَكَ اللَّهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّهَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحَكَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ»^(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمَكَ اللَّهُ، إِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمَكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِالْكُم»^(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمَّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمَّتُوهُ»^(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.



فِي ذِكْرِ النِّكَاحِ وَالتَّهْنِئَةِ بِهِ، وَذِكْرِ الدِّخُولِ بِالزَّوْجَةِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةَ النِّكَاحِ «الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

(١) التِّرْمِذِيُّ (٢٧٠٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (٥٢٠٨).

(٢) الْبُخَارِيُّ (٦٢٢٣، ٦٢٢٦).

(٣) الْبُخَارِيُّ (٦٢٢٤).

(٤) مُسْلِمٌ (٢٩٩٢).

﴿يَتَأْتِيَا النَّاسُ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ^(١) [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] رواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذي: حديث حسن.

- وعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان إذا رقا ^(٢) الإنسان إذا تزوج قال: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ» ^(٣). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً، أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا، فَلْيَأْخُذْ بِذُرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ» ^(٤) رواه أبو داود.

- وفي «الصحيحين» عن ابن عباس عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقَضَى بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» ^(٥).



فِي صِيَاحِ الدِّيَكَةِ وَالنَّهْيِ وَالنَّبَاحِ

- في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْحِمَارِ، فَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ،

(١) أبو داود (٢١١٨)، والنسائي (١٤٠٤، ٣٢٧٧)، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢).

(٢) رقا: هنا ودعا.

(٣) أبو داود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥)، وأحمد (٣٨١/٢).

(٤) أبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (١٩١٨).

(٥) البخاري (٣٢٧١)، ومسلم (١٤٣٤).

فَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا»^(١).

- وفي «سنن أبي داود» عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكَلَابِ وَنَهيقَ الْحَمِيرِ بِاللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَرِينَ مَا لَا تَرَوْنَ»^(٢). رواه أبو داود.



في كفارة المجلس

- عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»^(٣). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

- وعن ابن عمر قَالَ: قَلِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهِؤَلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»^(٤). قال الترمذي: حديث حسن.



(١) البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).

(٢) أبو داود (٥١٠٣)، وأحد (٣٠٦/٣)، (٣٥٥).

(٣) الترمذي (٣٤٣٣)، وأحد (٤٩٤/٢).

(٤) الترمذي (٣٥٠٢).

فيما يقال ويفعل عند الغضب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وقال سليمان بن صرد: كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان: أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَحِدُّ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَحِدُّ»^(١) متفق عليه.



فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ»^(٢). قال الترمذي: حديث حسن.



في الذكر عند دخول السوق

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَنَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»^(٣) رواه الترمذي.



(١) البخاري (٦٠٤٨)، ومسلم (٢٦١٠).

(٢) الترمذي (٣٤٣٢).

(٣) الترمذي (٣٤٢٨)، وقال: غريب.

في الدابة إذا عثرت

عن أبي المليح عن رجلٍ قال: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَثَرْتُ دَابَّتَهُ، فَقُلْتُ: نَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: «لَا تَقُلْ نَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»^(١).



فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له ، ماذا يقول؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شاةٌ فَقَالَ: «اقْسِمِيهَا». وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذَا رَجَعَتِ الْخَادِمُ تَقُولُ: مَاذَا قَالُوا؟ تَقُولُ الْخَادِمُ: قَالُوا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَفِيهِمْ بَارَكَ اللَّهُ، تُرَدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلُ مَا قَالُوا، وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا^(٢).



في رؤية باكورة الثمرة

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاؤُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدُنَا» ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَخْضَرُهُ مِنَ الْوَلَدَانِ^(٣). رواه مسلم.



في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[الكهف: ٣٩].

(١) أبوداود (٤٩٨٢).

(٢) النسائي في الكبرى (١٠١٣٥)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٢٧٧).

(٣) مسلم (١٣٧٣).

- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ لَسَبَقْتَهُ الْعَيْنُ» ^(١) حديث صحيح.

- وَيَذْكُرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُعْجِبُهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيُبْرِكْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ» ^(٢).

- وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ، حَتَّى تَزَلَّتِ الْمَعْوِذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا أَخَذَ بِلِيْهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا ^(٣). قَالَ الترمذي: حديث حسن.



فِي الْفَالِ وَالطَّيْرَةِ

- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَأَصْدُفُهَا الْفَالُ» قِيلَ: وَمَا الْفَالُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ يَسْمَعُهَا الرَّجُلُ» ^(٤).

- وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَالُ ^(٥).

وَأَمَّا الطَّيْرَةُ: فَقَالَ معاويةُ بْنُ الْحَكَمِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ رَجُلٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ يُجَدُّونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدِّقُكُمْ» ^(٦) وهذه الأحاديث في «الصحاح».



فِي الذِّكْرِ عِنْدَ دُخُولِ الْخَلَاءِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» ^(٧).

(١) مسلم (٢١٨٨).

(٢) النسائي في الكبرى (١٠٨٢)، وأحمد في المسند (٤٨٦/٣).

(٣) الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجه (٣٥١١).

(٤) البخاري (٥٧٥٤)، ومسلم (٢٢٢٣). والطيرة: هي الشاؤم.

(٥) البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤). والفال: توقع ما يستر.

(٦) مسلم (٥٣٧).

(٧) البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِرُّ مَا بَيْنَ الْجَنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الْكَيْفَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ»^(١).

وقالت عائشة: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قَالَ: «غُفْرَانُكَ»^(٢) رواه الإمام أحمد وأهل السنن.



في الذكر عند إرادة الوضوء

وفي «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل، وفيه: «يَا جَابِرُ نَادِ بِوُضُوءٍ» فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءٌ؟ أَلَا وَضُوءٌ؟ أَلَا وَضُوءٌ؟ وفيه فَقَالَ: «خُذْ يَا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ» فَصَبَّيْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: بِسْمِ اللَّهِ، فرَأَيْتُ الْمَاءَ يَقُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣).

وفي «المستد» و«السنن» من حديث سعيد بن زيد عن النبي ﷺ: «لَا وَضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(٤).

قال البخاري: هذا أحسن شيء في هذا الباب.



في الذكر بعد الفراغ من الوضوء

روى مسلم في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ - أَوْ يُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٥).

(١) الترمذي (٦٠٦)، وابن ماجه (٢٩٧).

(٢) أبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠)، وأحمد (١٥٥/٦).

(٣) مسلم (٣٠١٣).

(٤) الترمذي (٢٥)، وابن ماجه (٣٩٨).

(٥) مسلم (٢٣٤).

وزاد فيه الترمذي بعدَ ذِكْرِ الشَّهَادَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ واجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»^(١).

وأما الأذكارُ التي يقولها العامَّةُ على الوضوءِ عند كلِّ عضوٍ، فلا أصلَ لها عن رَسولِ الله ﷺ، ولا عن أحدٍ من الصحابةِ والتابعينَ، ولا الأئمةِ الأربعةِ، وفيها حديثٌ كَذِبٌ على رسولِ الله ﷺ.



في ذكر صلاة الجنّازة

في «صحيح مسلم» عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جِنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، قال: حتى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ، لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وفي لفظٍ: «وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ»^(٢).



في الذكر إذا قال هُجْرًا أو جَرَى على لسانه ما يُسْخِطُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

بَيَّنَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامِرُكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ»^(٣).

فكُلُّ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَهَذِهِ كَفَّارَتُهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٤) حديثٌ صحيحٌ.

(١) الترمذي (٥٥).

(٢) مسلم (٩٦٣).

(٣) البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

(٤) أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥).

وكفارة الشُّرك: التوحيد، وهو كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَمَنْ قَالَ: تَعَالَ أَقَامِرُكَ، فَقَدْ تَكَلَّمَ بِهَجْرٍ وَفَحْشٍ يَتَضَمَّنُ أَكْلَ الْمَالِ وَإِخْرَاجَهُ بِالْبَاطِلِ، وَكَفَّارَةُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بِضَدِّ الْقِيَامِ، وَهُوَ إِخْرَاجُ الْمَالِ فِي أَحَقِّ مَوَاضِعِهِ وَهُوَ الصَّدَقَةُ.



فِيَمَا يُقَالُ وَيُفْعَلُ عِنْدَ كُسُوفِ الشَّمْسِ وَخُسُوفِ الْقَمَرِ

في «الصحيحين» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا وَتَصَدَّقُوا»^(١).

وَالنَّبِيُّ ﷺ أَمَرَ فِي الْكُسُوفِ بِالصَّلَاةِ، وَالْعَتَاقَةِ، وَالْمِبَادَرَةِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ تَدْفَعُ أَسْبَابَ الْبَلَاءِ.



فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالأَصَابِعِ

- رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَمِينِهِ^(٢). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

- وَرَوَتْ يُسَيْرَةُ إِحْدَى الْمُهَاجِرَاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسِينَ الرَّحْمَةَ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ وَمُسْتَنْطَقَاتٌ»^(٣).



(١) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٢) أبو داود (١٥٠٢)، والترمذي (٣٤٨٦).

(٣) أبو داود (١٥٠١)، والترمذي (٣٥٨٣)، وأحمد (٣٧٠/٦).

في أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن

ثبت في «صحيح مسلم» عن سَمُرَةَ بن جُنْدَبٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّنٍ بَدَأَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(١).

وفي «الصحيحين» عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن النَّبِيِّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٣).



في الذكر المضاعف

في «صحيح مسلم» عن جُوَيْرِيَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ مَا أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وَرِثْتَ بِمَا قُلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَرِثْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَضَى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِينَةُ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(٤).



في الذكر الذي يقوله أو يقال له إذا لبس ثوباً جديداً

قال أبو نضرة: وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى أَحَدُهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ ثَوْبًا قَال: يَبْلَى وَيَخْلَفُ اللَّهُ تَعَالَى. ذكره البيهقي.

(١) مسلم (٢١٣٧).

(٢) البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) مسلم (٢٦٩٥).

(٤) مسلم (٢٧٢٦).

وعن سهل بن معاذ بن أنسٍ عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَيْسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(١).



فيما يقال عند رؤية الفجر

- روى ابنُ وهبٍ عن سليمانَ بنِ بلالٍ عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ قَبْدًا لَهُ الْفَجْرُ قَالَ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَحُسْنِ بَلَاءِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبِنَا فَأَفْضَلُ عَلَيْنَا عَائِدًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»^(٢) يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ. هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.



في التسليم للقضاء والقدر، بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦]. فنهى سبحانه عباده أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْقَائِلِينَ: لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَمَا وَقَعَ قَضَاؤُهُ بِخِلَافِهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٣).

وقال أبو هريرة: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ

(١) أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٤٥٨).

(٢) ابن خزيمة (٢٥٧١)، وهو عند مسلم (٢٧١٨) أنه كان يقول ذلك عند السحر وليس فيه التكرار.

(٣) أحمد (٣٦٦/٢)، وابن ماجه (٤١٥٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٥٧، ١٠٤٥٨).

تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١) رواه مسلم.



في جوامع من أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لا غنى للمرء عنها

قالت عائشة: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدْعُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ.

- وفي «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قَالَ: كُنْتُ أَخْذُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكَيِّرُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»^(٢).

- وفي «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^(٣).

- وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله تعالى عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(٤).

- وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَمِنْ جَمِيعِ سَخِطِكَ»^(٥).

(١) مسلم (٢٦٦٤).

(٢) البخاري (٦٣٦٩)، ومسلم (٢٧٠٦).

(٣) مسلم (٢٧٢٢).

(٤) البخاري (٨٣٣، ٦٣٧٥، ٦٣٧٦)، ومسلم (٥٨٩).

(٥) مسلم (٢٧٣٩).

- وفي الترمذي عن عائشة قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَسْأَلُ؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ نَحْبُ الْعَفْوِ فَاعْفُ عَنِّي»^(١) قال الترمذي: حديث صحيح.

- وفي «صحيح مسلم» عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، وَارْحَمْنِي»^(٢).

وفي «المسند» عن بُسْرِ بْنِ أَرْطَاةَ رضي الله تعالى عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ»^(٣).

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم» عن ربيعة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «الْظُّوْا بَيَازًا الْجَلَالَ وَالْإِكْرَامَ»^(٤). أي: الزموها ودأبوا عليها.

- وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ هُمْ: «أَتُحِبُّونَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٥).

- وفي «صحيحه» أيضًا عن أنس قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَلَقَةٍ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ، تَشَهَّدَ وَدَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٦).

(١) الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠).

(٢) مسلم (٢٦٩٧).

(٣) أحمد (١٨١/٤)، وابن حبان (٢٤٢٤) - موارد.

(٤) أحمد (١٧٧/٤)، والحاكم (٤٩٩/١). وهو عند الترمذي (٣٥٢٤، ٣٥٢٥) من حديث أنس.

(٥) أحمد (٢٩٩/٢)، والحاكم (٤٩٩/١).

(٦) أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٥٥)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، والنسائي (١٣٠٠)، وأحمد (١٢٠/٣، ١٥٨).

- وفي «المسند» و«صحيح الحاكم» أيضًا، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ: «يَا شَدَّادُ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكْزِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْثِرْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»^(١).

- وفيه أيضًا عن عائشة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَهَا أَنْ تَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرِ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا»^(٢).

- وفي «مسند الإمام أحمد» و«صحيح الحاكم» أيضًا، عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةَ أَوْجَزَ فِيهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: لَقَدْ دَعَوْتُ اللَّهَ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَى، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَى بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ، مِنْ غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هَذَاهُ مُهْتَدِينَ»^(٣).

- وفي «صحيح الحاكم» أيضًا: عن ابن مسعود قال: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

(١) الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤)، وأحمد (١٢٥/٤)، والحاكم (٥٠٨/١).

(٢) أحمد (١٣٤/٦)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، والحاكم (٥٢١/١).

(٣) النسائي (١٣٠٦)، وأحمد (٢٦٤/٤)، والحاكم (٥٢٤/١)، (٥٢٥).

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ بِعَوْنِكَ مِنَ النَّارِ»^(١).

- وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن ابن عمر، أنه لم يكن يجلس مجلسًا - كان عنده أحدٌ أو لَمْ يَكُنْ - إِلَّا قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ طَاعَتِكَ مَا تُحُولُ بِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَارْزُقْنِي مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تُبَلِّغُنِي بِهِ رَحْمَتَكَ، وَارْزُقْنِي مِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَبَارِكْ لِي فِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَأْرِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ عَادَانِي، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي، اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي». فَسُئِلَ عَنْهُنَّ ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْتِمُ بِهِنَّ مَجْلِسَهُ^(٢).

والحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، ملء سمواته وملء أرضه، وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد.

وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرّف بالله تعالى ودعا إليه، وسلم تسليًا.



(١) الحاكم (١/٥٢٥، ٥٣٤)، وهو عند الترمذي (٤٧٨)، وابن ماجه (١٣٨٤) من حديث عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي.

(٢) الحاكم (١/٥٢٨)، وهو عند الترمذي (٣٥٠٢).

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مقدمة المختصر	٣	في أذكار الفزع في النوم والقلق	٦٤
مقدمة المؤلف	٥	في أذكار من رأى رؤيا يكرهها	٦٤
مدار العبودية	٦	في أذكار الخروج من المنزل	٦٥
وسائل استقامة القلب	٦	في أذكار دخول المنزل	٦٥
علامات تعظيم الأوامر	٧	في أذكار دخول المسجد والخروج منه	٦٦
علامات تعظيم المناهي	٨	في أذكار الأذان	٦٦
العبد بين البلاء والإعانة	١٠	في أذكار الاستفتاح	٦٨
الشرك أعظم دواوين الظلم	١٣	في أذكار الركوع والسجود والفصل بينها	٦٩
تعظيم شأن الصلاة	١٥	وبين السجدين	١٥
مراتب الناس في الصلاة	١٧	في الأذكار المشروعة بعد السلام	٧١
أقسام القلوب	١٨	في ذكر التشهد	٧٣
حقيقة الصيام	٢٠	في ذكر الصلاة على النبي ﷺ	٧٣
في فضل الصدقة	٢٢	في ذكر الاستخارة	٧٤
الفرق بين الشح والبخل وحقيقة السخاء	٢٥	في أذكار الكرب والغم والحزن والهم	٧٥
في فضل الذكر	٢٨	في الأذكار الجالبة للرزق والدافعة للضيق	٧٦
في فوائد الذكر	٣١	والأذى	٣١
أقسام عمال الآخرة	٤١	في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف من	٧٦
الفصل الأول: أنواع الذكر	٥١	سلطان وغيره	٥١
الفصل الثاني: الذكر أفضل من الدعاء	٥٤	في الأذكار التي تطرد الشيطان	٧٧
الفصل الثالث: قراءة القرآن أفضل من الذكر	٥٧	في الذكر الذي تحفظ به النعم	٧٨
الفصل الرابع: في الأذكار الموظفة	٥٩	في الذكر عند المصيبة	٧٨
في أذكار النوم	٦٢	في الذكر الذي يدفع به الدين	٧٩
في أذكار الانتباه من النوم	٦٤	في الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة	٧٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
وغيرهما		في الذكر عند دخول السوق	٩١
في ذكر دخول المقابر	٨٠	في الدابة إذا عثرت	٩٢
في ذكر الاستسقاء	٨٠	فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له	٩٢
في أذكار الريح إذا هاجت	٨١	في رؤية باكورة الثمرة	٩٢
في الذكر عند الرعد	٨١	في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين	٩٢
في الذكر عند نزول الغيث	٨١	في الفأل والطيرة	٩٣
في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها	٨٢	في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه	٩٣
في الذكر عند رؤية الهلال	٨٣	في الذكر عند إرادة الوضوء	٩٤
في الذكر للصائم وعند فطره	٨٣	في الذكر بعد الفراغ من الوضوء	٩٤
في أذكار السفر	٨٣	في ذكر صلاة الجنازة	٩٥
في ركوب الدابة والذكر عنده	٨٤	في الذكر إذا قال هُجْرًا أو جرى على لسان ما يسخط ربه	٩٥
في ذكر الرجوع من السفر	٨٤	فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس	٩٦
في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها	٨٥	وخسوف القمر	٩٦
في ذكر المنزل يريد نزوله	٨٥	في عقد التسبيح بالأصابع	٩٦
في ذكر الطعام والشراب	٨٥	في أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن	٩٧
في ذكر الضيف إذا نزل بقوم	٨٧	في الذكر المضاعف	٩٧
في السلام	٨٧	في الذكر الذي يقوله أو يقال له إذا لبس ثوبًا جديدًا	٩٧
في الذكر عند العطاس	٨٨	فيما يقال عند رؤية الفجر	٩٨
في ذكر النكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزوجة	٨٨	في التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الجهد	٩٨
في صياح الديكة والتهيق والنباح	٨٩	في تعاطي ما أمر به من الأسباب	٩٠
في كفارة المجلس	٩٠	في جوامع من أدعية النبي ﷺ وتعوذاته	٩٩
فيما يقال ويفعل عند الغضب	٩١	الفهرس	١٠٣
فيما يقال عند رؤية أهل البلاء	٩١		